مختصر مذكرات بنيامين نتنياهو
(بيبي: قصتي)

مختصر مذكرات بنيامين نتنياهو (بيبي: قصتي)

أحمد مولانا

تاريخ الصدور: أكتوبر 2022

عدد الصفحات: 736

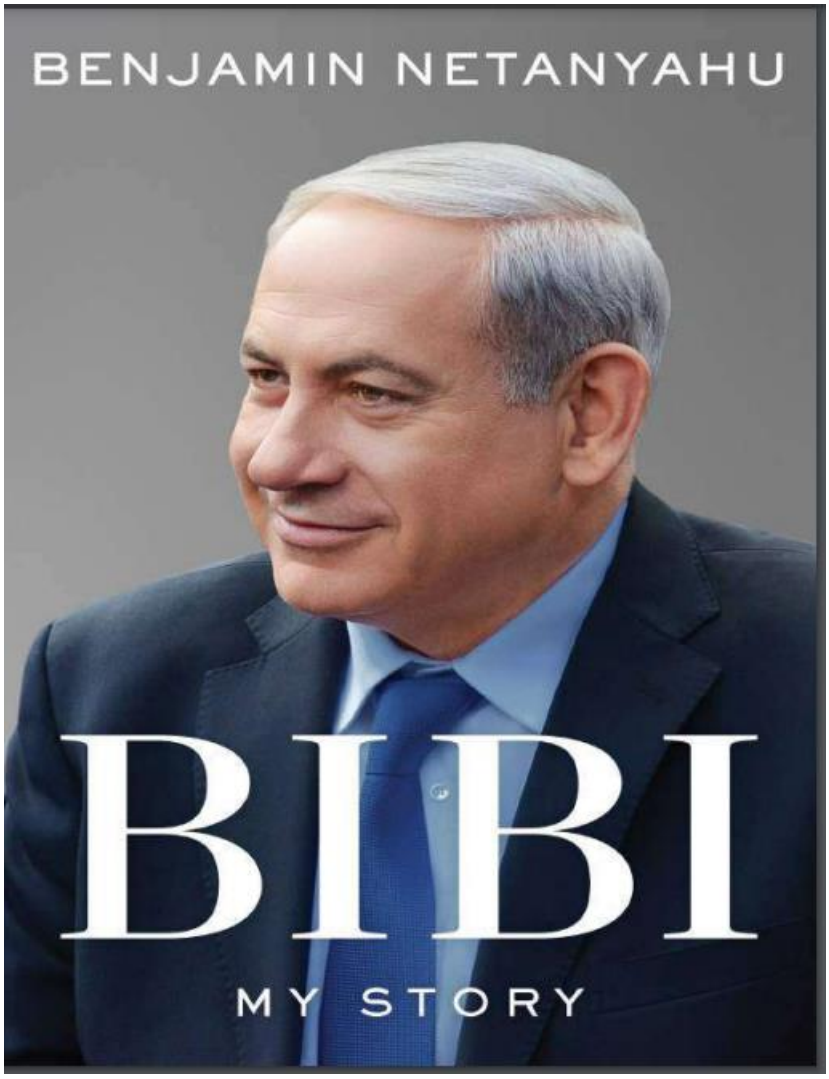

أقوال وردت في المذكرات:

- اخرج من الفخاخ الخطرة بأسرع ما يمكن.
- معظم الأشخاص الذين أعرفهم ممن يحققون أهدافًا كبيرة يتابعون التفاصيل الصغيرة.
- أحيانًا تكون الحركة في اتجاه واضح، حتى وإن لم تكن منظمة تمامًا أفضل من الركود. الأشياء تفرز نفسها وتُجرى التصحيحات كلما تقدمت.
- المخاطرة بحياة المرء من أجل لا شيء هي ذروة الحماقة.
- القائد الجيد يحقق المهمة بأقل قدر من التضحية أو دون تضحية، لا تخاطروا بأي شخص في مهام غير ضرورية أو حروب غير ضرورية.
- في الثلج، إذا جلست، فلن تقوم.
- في المعركة، تصبح الأسود أرانب.
- قوتك تأتي من الحديث عن قناعة. في المناظرات وضح وجهة نظرك بإيجاز في وقت مبكر، والتزم بها.
- القوة تجذب والضعف يصد.
- الشغف والقناعة هي أساس القوة، وهو ما يبحث عنه معظم الناس في القائد.
- في أوقات عدم اليقين، يحتاج الناس إلى رؤية قادتهم والاستماع إليهم.
- لم يكن الجلد السميك الذي اكتسبته مختلفًا عن الأيدي الخشنة التي طورتها من تسلق الحبال في الجيش. إذا تسلقت ما يكفي من الحبال السياسية، يمكنك تطوير درجة من المرونة يصعب على معظم الناس فهمها.

Contents

المقدمة 5
جذور عائلة نتنياهو 6
علاقة والد نتنياهو بجابوتنسكي 7
نشأة نتنياهو 8
هاجس تحرير فلسطين 9
دروس حرب أكتوبر 1973 9
معركة العلاقات العامة 9
دراسة إدارة الأعمال، والعمل في مجموعة بوسطن للاستشارات BCG 10
توظيف موت يوني 11
بداية العمل السياسي 11
المشاركة في مؤتمر مدريد 12
خسارة الليكود انتخابات 1992، وفوز نتنياهو بزعامة الحزب 12
نشر كتاب جديد 13
انتقاد نهج السلام الذي تريده واشنطن 13
اتفاقية أوسلو 14
انتخابات عام 1996، والفوز برئاسة الوزراء 14
اللقاء السري مع ولي عهد الأردن في لندن 15
نهج نتنياهو للسلام مع الفلسطينيين والعرب 15
الإصلاح الاقتصادي لإسرائيل 16
اللقاء الأول مع الملك حسين، ومحاولة اغتيال خالد مشعل 17
انتفاضة النفق 18
الاستفادة من الإنجيليين 19
المناكفات مع مادلين أولبرايت، وكلينتون 20
غزو العراق 2003 22
عودة نتنياهو للسياسة، والإصلاح الاقتصادي 22
الخلاف مع شارون حول الانسحاب من غزة 24
انشقاق شارون وتأسيسه حزب كاديما، والهزيمة في انتخابات 2006 26

الخلافات مع أوباما 27
الضغط على روسيا لتأجيل بيع صواريخ إس 300 إلى إيران 28
حادث السفينة التركية مافي مرمرة 29
التراجع عن تشكيل حكومة مصغرة 30
ثورة يناير في مصر، ومحاولة اقتحام السفارة في القاهرة 30
استهداف إيران 31
الإفراج عن شاليط 32
الخلافات مع لابيد وبينيت 33
غارات على مطار الخرطوم، واغتيال أحمد الجعبري 33
عرض من كيري بزيارة أفغانستان 35
بناء الجدار العازل مع مصر 35
السعي لإفشال الاتفاق النووي مع إيران، والتنسيق مع روسيا 37
مقترحات مع مصر والأردن لتبادل الأراضي 38
التطور التكنولوجي 38
توسيع نطاق العلاقات الدولية لإسرائيل 40
المساعدات العسكرية الأمريكية 42
إدارة ترامب 43
العلاقات مع دول الخليج 44
فقدان منصب رئيس الوزراء 45
الخاتمة 46

المقدمة

يبدأ بنيامين نتنياهو الشهير ببيبي كتابه بفصل يتناول فيه مشاركته رفقة شقيقه جوناثان الشهير بيوني، الذي يكبره بثلاث سنوات، في العملية "سابينا" التي نفذتها وحدة القوات الخاصة بالجيش الإسرائيلي "سيريت ميتكال" في عام 1972 للإفراج عن 94 شخصًا من أفراد طاقم وركاب طائرة مختطفة خلال

توجهها من بلجيكا إلى إسرائيل، وهي العملية التي أشرف عليها قائد الوحدة إيهود باراك، وأصيب خلالها نتنياهو برصاصة في ذراعه الأيسر. ثم انتقل نتنياهو إلى واقعة مقتل شقيقه يوني في عام 1976 خلال محاولته إطلاق سراح ركاب أفراد طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية تعرضت للاختطاف خلال توجهها من تل أبيب إلى باريس، حيث هبط بها الخاطفون في مطار عنتيبي بأوغندا.

يخلص نتنياهو من تناوله للحادثين إلى الرسالة التي أراد إيصالها للجمهور قائلًا: (عندما سُئلت في مقابلة تلفزيونية عام 2011 عن الشيء الذي أرغب أن يتذكرني الناس به، أجبت ببساطة: لقد ساعدت في تأمين حياة الدولة اليهودية ومستقبلها).

إنَّ الكتاب في مضمونه هو بيان دعائي مطول موجه للناخب الإسرائيلي قبيل انتخابات الكنيست عام 2022. ولذا لم يفت نتنياهو أن يلمز إيهود باراك أحد أبرز منتقديه قائلًا: إنَّ باراك خلال محاولة إطلاق سراح المختطفين في العملية سابينا اقتصر دوره على الوقوف على مدرج المطار وإطلاق صافرة لبدء الهجوم، لكنه ظل ينشر مرارًا وتكرارًا صورة له أثناء نزوله من الطائرة بعد انتهاء العملية دون أن يخبر الجمهور أنَّه لم يقتحم الطائرة شخصيًّا.

جذور عائلة نتنياهو

بعد المقدمة العاطفية التي حرص فيها نتنياهو على استعراض تضحياته رفقة شقيقه لصالح إسرائيل، بدأ في تناول جذور عائلته، ويوضح أنَّها تعود من جهة الأب إلى الحاخام ناثان ميليكوفسكي الذي وُلد في عام 1879 بقرية كريفو الواقعة حاليًّا في بيلاروسيا.

تبنى ناثان نشر الفكر الصهيوني في أوروبا، وأقام في بولندا، وأنجب 8 ذكور وبنتًا واحدة، من بينهم بنزايون والد بيبي في عام 1910، ثم غير ناثان اسمه إلى نتنياهو بعد وصوله إلى فلسطين، حيث أقام في جنوب القدس ثم تُوفِّي بالتيفويد في عام 1935.

اهتم الأب بنزايون بالتاريخ، وبالأخص تاريخ اليهود في إسبانيا في العصور الوسطى، وألف "الموسوعة اليهودية" على غرار "الموسوعة البريطانية"، واهتم بتوريث أبنائه الذكور الثلاثة "يوني وبيبي وإيدو" حب القراءة وأهمية التعلم.

يذكر بيبي أنَّه قرأ في شبابه كتابات مكيافيلي وهمنغواي وكتاب قصة الحضارة للمؤرخ ويل ديورانت، كما حضر في عام 1973 ندوة لكارل دويتش عن القومية. كما يذكر أنَّه استفاد من نصيحة لكيسنجر قال فيها: (في الحياة العامة، تعتمد على رأس المال الفكري الذي تراكمه قبل أن تدخله).

يضيف بيبي أنَّه يبذل قصارى جهده لتجديد رأسماله الفكري باستمرار؛ حيث يقرأ كثيرًا في التاريخ والاقتصاد والتكنولوجيا، حيث تعلم من والده (أنَّ أولئك الذين لا يستطيعون فهم الماضي لا يمكنهم فهم الحاضر، وأولئك الذين لا يستطيعون فهم الحاضر لن يمكنهم استشراف ما يخبئه المستقبل).

وفي موقف كاشف عن حجم تأثير والده عليه، يقول بيبي إنَّه سأل والده بنزايون ما الميزة الأساسية التي ينبغي توافرها لشخص ما كي يشغل منصب رئيس الوزراء؟ فأجابه: ما رأيك أنت؟

أجاب بيبي: "رؤية واضحة للمكان الذي تريد أن تقود إليه البلاد، التزام قوي بتلك الرؤية، ومرونة كافية في السير نحو تحقيقها".

قال والده: هذه سمات ينبغي توافرها لشاغل أي منصب قيادي. فرئيس جامعة أو رئيس شركة أو قائد عسكري سيجيبون جميعًا بنفس تلك الإجابة. ثم أضاف المهم هو: "التعليم، تعليم واسع وعميق، وإلا فسوف تكون تحت رحمة موظفيك".

يضيف بيبي: على مر السنين تبين لي أنَّ رئيس الوزراء بدون فهم أساسي للاقتصاد والعمليات العسكرية والتكنولوجيا والعلوم، يصبح عاجزًا أمام الخبراء. أما الأهم فهو التاريخ، فكيف يمكنك أن تعرف إلى أين تذهب إذا كنت لا تعرف حتى كيف وصلت إلى هنا؟.

لقد توفي بنزايون والد بيبي في عام 2012 عن عمر 102 سنة.

أما والدة نتنياهو، فقد هاجر جدها إبراهام ماركوس من أمريكا إلى ليتوانيا في القرن التاسع عشر، حيث أنجب فيها عام 1867 ابنه بنيامين جد بيبي، ثم هاجر مجددًا في عام 1896 إلى فلسطين للعمل في مجال الزراعة حيث استعان بيهود من اليمن للعمل لديه، وأقام لهم كنيسًا رغم رفض جيرانه من اليهود الغربيين. وقد وظف نتنياهو تلك الواقعة لتبرير تمتعه بدعم من اليهود غير الإشكناز قائلًا: (حين يوجه لي سؤال: "كيف يمكن أن يكون ليهودي أشكنازي مثلك، قدم من منزل ميسور الحال، ابن مؤرخ مشهور، خريج إحدى أفضل الجامعات في العالم، أن يتزعم حزبًا تدعمه الطبقات الدنيا؟" أجيب بكلمتين: "إبراهام ماركوس".

هاجر بنيامين الجد من ليتوانيا إلى نيويورك ثم هاجر إلى فلسطين حيث أنجب بها والدة بيبي في عام 1912، لكنها سافرت لاحقًا من فلسطين إلى الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية لتعيش في مأمن، ثم تزوجت هناك بنزايون. وولدت بيبي في عام 1949، ثم سافرت الأسرة إلى أمريكا في عام 1957 لمدة سنتين، وهو السفر الذي تكرر لاحقًا خلال الفترة من 1963 إلى 1967.

علاقة والد نتنياهو بجابوتنسكي

تأثر بنزايون والد بيبي فكريًّا بهرتزل ثم بأفكار المنظر الصهيوني جابوتنسكي، وبالأخص مقاله "الجدار الحديدي" الذي نشره في عام 1923، والذي خلص فيه إلى أنَّ المصالحة العربية مع الصهيونية لن تحدث إلا عندما تصبح الدولة اليهودية قوية لدرجة تدفع العرب للتخلي عن أي أمل في القضاء عليها، وهو ما يتطلب بناء جيش يهودي قوي.

التقى بنزايون مع جابوتنسكي في عام 1939 بلندن، حيث صارحه الأخير برغبته في تكثيف حملة علاقات عامة لمناشدة الرأي العام البريطاني بفتح باب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين بعد أن ضُيِّقَ؛ استجابة للضغوط العربية. لكن بنزايون نصحه بنقل أنشطته إلى أمريكا لأنَّها قوة صاعدة عالميًّا، وتوجد بها جالية يهودية مؤثرة، وفي حال إقناع واشنطن بدعم المشروع اليهودي فإنَّها ستجبر بريطانيا على تغيير سياساتها. كما شجعه على إنشاء جيش يهودي لمساعدة الحلفاء ضد النازيين، مما يمنح اليهود قوة عسكرية خاصة بهم للمرة الأولى منذ قرون، ويساعد في تمهيد الطريق لإقامة دولة يهودية.

سافر جابوتنسكي وبنزايون إلى نيويورك، لكنهما وجدا صدودًا من قادة الجالية اليهودية الأمريكية الذين عارضوا الصهيونية إلى حد كبير، كما اعتقد الرئيس روزفلت أنَّ دعم الصهيونية سيضع عبئًا لا داعي له على علاقة بريطانيا بالعالم العربي. وقد توفي جابوتنسكي في عام 1940 في الولايات المتحدة، وساهم بنزايون في حمل نعشه، ووصف شعوره بأنَّه تعرض للصدمة حيث (ذهب الراعي وتناثرت الأغنام).

بحسب بيبي، فإنَّ والده بنزايون سعى إلى لقاء مسؤولين في وزارة الخارجية والبنتاجون والبيت الأبيض؛ كي يدعموا مشروع إقامة دولة يهودية في فلسطين أو على الأقل ألا يعرقلوا قيامها، ونجح في التغلغل داخل دوائر الحزب الجمهوري عبر مغازلة المشاعر المؤيدة للصهيونية التي غرسها الإنجيليون الأمريكيون في وقت سابق، وقد ساعدته عضوة الكونجرس كلير بوث لوس التي قدمته إلى زعيم الأقلية في مجلس الشيوخ روبرت تافت، والذي استمع إلى حجج بنزايون حول المصالح التي ستجنيها أمريكا من دعم إنشاء دولة يهودية.

في يونيو 1944، تبنى الحزب الجمهوري في مؤتمره السنوي برنامجًا يدعو إلى دعم الهجرة اليهودية غير المقيدة إلى أرض فلسطين وإقامة دولة يهودية هناك، وهو ما دفع الحزب الديموقراطي بعد بضعة شهور لتبني نفس الموقف. وقد نجح الأب بنزايون في لقاء وزير الخارجية الأمريكي دين أتشسون، ثم اجتمع مع قائد الجيش والرئيس المستقبلي أيزنهاور في عام 1947 حيث شرح له كيف أنَّ الدولة اليهودية المنتظرة ستكون بمثابة حصن أمريكي ضد المحاولات السوفيتية للسيطرة على الشرق الأوسط.

يكشف بيبي أنَّ والده تعرف إلى القس جون ويسلي رايس في الولايات المتحدة، وتبادلت الأسرتان الزيارات، وخلالها تعرف بيبي إلى الابنة كوندليزا التي أصبحت لاحقًا مستشارة للأمن القومي الأمريكي ووزيرة للخارجية في عهد جورج بوش الابن.

تمكن الأب خلال أنشطته الصهيونية في أمريكا، من كتابة أطروحة دكتوراه حول فلسفة دون إسحاق أبرافانيل، زعيم العظيم يهود إسبانيا في العصور الوسطى، ثم أصبح رئيسًا لقسم اللغات السامية وآدابها في جامعة كورنيل.

نشأة نتنياهو

حرص نتنياهو ضمن مذكراته على الحديث عن ميزاته الشخصية التي يزعم أنَّها توافرت لديه الصغر، فيقول إنَّ معلمته في الصف السادس كتبت في تقييمها عنه إنَّه: (شخص يدرك الأمور بسرعة، ونشيط، ومسؤول، يحب القراءة، ويؤدي واجباته بدقة، مندمج اجتماعيًّا، وسعيد، وشجاع). وهي سمات يضاد العديد منها ما اشتهر عن نتنياهو لدى من عملوا معه؛ حيث يتهمونه بالكذب وخلف الوعد.

التحق بيبي في دراسته الجامعية بكلية الهندسة المعمارية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، ومع اندلاع حرب 1967 تطوع للخدمة في الجيش الإسرائيلي، حيث عاد من الولايات المتحدة لينضم إلى وحدة النخبة سيريت ميتكال التي تأسست وفق نموذج الوحدة البريطانية الخاصة (SAS) حيث خدم بها في ذات الوقت رفقة شقيقيه. ويذكر بيبي أنَّه اكتسب منها عدة فوائد من أبرزها:

- كتابة مهام اليوم التالي في مفكرة صغيرة ومتابعة إنجازها، ويضيف: (معظم الأشخاص الذين أعرفهم ممن يحققون أهدافًا كبيرة يتابعون التفاصيل الصغيرة).
- نصيحة تقول: (ارفع رأسك من وقت لآخر لترى ما يفعله خصمك)، إذ يصفها بأنَّها نصيحة أفادته في الجيش وفي السياسة.

خلال خدمته العسكرية، شارك في هجمات على الضفة الغربية من قناة السويس، وفي الجولان، وفي إنزال على مطار بيروت، كما شارك في معركة الكرامة بالأردن عام 1968، فضلًا عن حرب أكتوبر 1973. وقد أصيب بمشكلات صحية لم يتعاف منها تتسبب في معاناته من آلام ظهر مزمنة؛ إثر تدريبات اختبار تحمل سار فيها لمسافات طويلة رفقة حمل يبلغ 60 كيلو جرامًا.

هاجس تحرير فلسطين

يكشف نتنياهو أنَّه خلال انخراطه في دورة للغوص للقوات الخاصة بقاعدة عتليت، لاحظ أنَّ القاعدة توجد قرب أنقاض القلعة الأخيرة التي أخلاها الصليبيون عندما غادروا فلسطين عام 1291، فخطر بباله سؤال: هل ستتعرض إسرائيل لمصير مشابه للصليبيين الذين استقروا في المنطقة لمدة قرنين، ويضيف: (بقيت مسألة ضمان قوة إسرائيل واستمراريتها في ذهني).

دروس حرب أكتوبر 1973

يشير نتنياهو إلى أنَّ إحجام رئيسة الوزراء جولدا مائير عن شن هجوم مضاد في حرب عام 1973 رغم توافر معلومات مسبقة بأنَّ الجيشين المصري والسوري يستعدان للهجوم، وذلك لتجنب إغضاب واشنطن، كان خطًا جوهريًّا ألقى بثقله على تفكيره. فوفقًا لرأيه، يجب على إسرائيل أن تضع أمنها في المرتبة الأولى، وأن تفعل ما هو ضروري للدفاع عن نفسها ثم سيأتي الرضا الأمريكي لاحقًا إذ: (يحب الجميع الفائز، وعادة ما تمنحك الضربة الأول ميزة كبيرة).

يؤكد نتنياهو أنَّ صدمة مقتل عدد كبير من الجنود الإسرائيليين وسوء الإدارة من قبل الحكومة في المراحل الأولى من الحرب أدت إلى تراجع شعبية حزب العمل، وهو ما تأكد في عام 1977 مع انتصار حزب الليكود للمرة الأولى في انتخابات الكنيست.

معركة العلاقات العامة

عندما عاد نتنياهو إلى الولايات المتحدة بعد تطوعه للقتال في حرب أكتوبر، وجد الطلاب العرب يوزعون منشورات معادية لإسرائيل، وهو ما دفعه للانخراط في حملة مضادة مؤيدة لإسرائيل شملت مشاركته في ندوات تطرق فيها إلى حملة المقاطعة العربية لتصدير النفط إلى الولايات المتحدة.

يوضح نتنياهو أنَّه اعتمد أولًا على تقديم حجج منطقية، لكن والده نبهه قائلًا: (لا يمكنك الدفاع عن انتصار عسكري دون انتصار سياسي؛ لا يمكنك الدفاع عن نصر سياسي دون انتصار في الرأي العام. إذا

نجح خصومك في تصوير قضيتك على أنَّها غير عادلة، فسوف يقوضون موقفك تدريجيًّا. لا يهم إذا كانت قضيتك قضية أخلاقية حقًّا إذا لم تقدمها على هذا النحو، فبعض من أعظم المعتدين في التاريخ صوروا أنفسهم على أنَّهم عادلين وأنَّ ضحاياهم ظالمون). فبدأ نتنياهو يزعم أنَّ إسرائيل تمثل المجتمع الغربي المنفتح والليبرالي الذي يمقته العرب، وأنَّ السبب الجذري الحقيقي للنزاع العربي الإسرائيلي هو رفض العرب الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية. كذلك أورد في كتابه رسائل رددها من قبيل:

- ليس اليهود هم من يغتصبون الأرض من العرب، بل العرب هم الذين يغتصبون الأرض من اليهود.
- اليهود هم السكان الأصليون، والعرب هم المحتلون.
- إنَّ العرب يزورون التاريخ، حيث وُجِدَ اليهود في فلسطين قبل العرب بآلاف السنوات قبل أن يطردهم الرومان.
- في يهودا والسامرة[1]، الشعب اليهودي ليس محتلًا أجنبيًّا. نحن لسنا البريطانيين في الهند. نحن لسنا البلجيكيين في الكونغو. هذه أرض أجدادنا.
- الأساس الحقيقي للسلام في منطقتنا هو الأمل الذي ينبع من القوة، وما يترتب على ذلك من إدراك جيراننا أنَّ إسرائيل موجودة لتبقى.

كذلك يوضح نتنياهو مقاربة أخرى تعلمها من والده في العلاقات العامة خلاصتها: (أنَّه يجب أن تركز في حملتك بشكل أساسي على المصالح المشتركة: لماذا الموقف الذي ندافع عنه يخدم مصلحة بلدك؟ ما الفائدة التي ستعود على الولايات المتحدة لدعم موقفنا؟ لذا عندما اجتمع نتنياهو مع مسؤولين أمريكيين في وزارتي الخارجية والدفاع، قدم لهم رسالة مفادها: (إنَّ سياسة الولايات المتحدة تضعف الحليف الوحيد الموثوق لها في الشرق الأوسط، وهو ما يضعف جهود واشنطن للتصدي للمحاولات السوفيتية للسيطرة على المنطقة).

دراسة إدارة الأعمال، والعمل في مجموعة بوسطن للاستشارات BCG

أكمل نتنياهو لاحقًا، بعد انتهاء خدمته العسكرية في عام 1972، دراسته الجامعية، وأثناء ذلك تزوج زوجته الأولى مريم (1972-1978)، كما درس في كلية إدارة الأعمال بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بتشجيع من والدته التي قالت له: (لا بُدَّ أن تعرف كيف تدير أعمالك). وبعد تخرجه عمل خلال الفترة من 1976 إلى 1978 في مجموعة بوسطن للاستشارات BCG، والتي عملت فيها نخبة من خريجي هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وستانفورد. وفيها تعلم نتنياهو أنَّ الشركات الخاصة لن تدفع مقابل العروض التقديمية الغامضة التي لا تقدم أهدافًا محددة ولا تضيف قيمة، واعتنق قاعدة تقول: (قل شيئًا واضحًا أو لا تقل شيئًا على الإطلاق).

[1] - مصطلح يهودي يُستخدم للإشارة إلى الضفة الغربية، فحسب التراث اليهودي كانت مملكة يهودا في الجنوب ومملكة السامرة في الشمال، وحاليًّا يقصد بيهودا المنطقة الممتدة جنوب القدس، بما في ذلك محافظة بيت لحم ومحافظة الخليل بينما منطقة السامرة تشير إلى المنطقة الواقعة شمال القدس وخصوصًا محافظتي نابلس ورام الله.

توظيف موت يوني

بعد مقتل شقيقه الأكبر يوني -اسمه الحقيقي جوناثان- في مطار عنتيبي عام 1976، وظف بيبي رفقة والده الحادث لخدمة الأجندة الصهيونية عبر تأسيس "معهد جوناثان" في عام 1977، الذي ركز على الدعوة إلى تبني سياسة غربية جديدة لمكافحة الإرهاب الدولي. وقد ساعدهما وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك شيمون بيريز عبر توصيلهما بجيك فيلدمان رجل الأعمال اليهودي الثري من تكساس، والذي تبرع للمعهد بمبلغ ضخم بلغ 100 ألف دولار.

بدأ نتنياهو يعد لتنظيم المعهد لأول نشاط تحت لافتة "مؤتمر القدس حول الإرهاب الدولي" في عام 1979، ونجح عبر دوائر علاقات والده، وبمساعدة بيريز، في دعوة توماس شيلينج الحائز على جائزة نوبل، ومؤلف كتاب "استراتيجيات الصراع" لحضور المؤتمر بجوار نائب رئيس السي أي إيه آنذاك جورج بوش الأب ضمن 50 مشاركًا من 8 دول. وقد ركز المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام على ما سماه نتنياهو بدور الدول العربية والاتحاد السوفيتي في رعاية الإرهاب عبر تقديم المأوى والأسلحة والمال والتدريب، ودور منظمة التحرير الفلسطينية كوكيل للأنظمة العربية حسب زعمه. وقد نشر نتنياهو أوراق المؤتمر في كتاب بعنوان "الإرهاب الدولي: التحدي والاستجابة"

بداية العمل السياسي

في أوائل عام 1982، تلقى نتنياهو مكالمة هاتفية من موشيه أرينز السفير الإسرائيلي في واشنطن آنذاك، وأحد أصدقاء والده بنزايون، حيث عرض عليه أن يعمل نائبًا له في السفارة. وهو ما رحب به بيبي حيث شغل المنصب لمدة عامين، لكنه تعرض للانتقاد في الصحف بحجة أنَّه لا يصلح كسياسي مبتدأ لشغل منصب حساس في السفارة. وقد عاصر آنذاك الانزعاج الأمريكي من غزو إسرائيل للبنان، والذي وصل حد وقف ريجان لمبيعات طائرات F-16 لإسرائيل.

يردد نتنياهو بأنَّه قد يكون الشخص الوحيد في التاريخ الذي تخلى عن جنسيته الأمريكية مرتين؛ حيث تخلى عنها للمرة الأولى عندما انضم إلى الجيش الإسرائيلي عام 1967، ثم حكمت المحكمة العليا الأمريكية لاحقًا بأنَّه لا يمكن إلغاء الجنسية الأمريكية بسبب التجنيد في جيش أجنبي. وهكذا استعاد جنسيته الأمريكية، ثم تخلى عنها طوعًا مجددًا حين عمل دبلوماسيًّا إسرائيليًّا في واشنطن.

في تلك الآونة عمل نتنياهو على عقد المؤتمر الثاني لمعهد جوناثان عن الإرهاب الدولي في عام 1984 بواشنطن، وشارك فيه الصحفي الشهير بوب ودوارد، والأكاديمي برنارد لويس، ووزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز الذي كان متأثرًا بحادث الهجوم على ثكنات مشاة البحرية الأمريكية في بيروت عام 1983، والذي أسفر عن مقتل 241 جنديًّا، حيث تعهد خلال المؤتمر بنقل المعركة ضد الإرهابيين إلى قواعدهم في الخارج وإلى الدول التي تدعمهم.

نشر نتنياهو وقائع المؤتمر في كتاب بعنوان "الإرهاب: كيف يمكن للغرب أن ينتصر"، وهو الكتاب الذي قرأه الرئيس الأمريكي آنذاك ريجان.

مبعوث في الأمم المتحدة 1984-1988

بدعم من موشيه أرينز الذي تولى عدة مناصب وزارية، عُين نتنياهو مندوبًا لإسرائيل في الأمم المتحدة منذ عام 1984 حتى عام 1988. ويذكر نتنياهو أنَّ أول الاجتماعات التي عقدها بعد توليه منصبه الجديد، كانت مع هنري كيسنجر الذي دعاه لتناول الغداء، ووجه له عددًا من النصائح، واللافت أنَّ هذا هو نفس ما فعله كيسنجر في عام 2016 مع جاريد كوشنر زوج ابنة ترامب وكبير مستشاريه.

استثمر نتنياهو علاقاته ومنصبه الدبلوماسي في الولايات المتحدة لنشر مقالات رأي حول مكافحة الإرهاب في كبرى الصحف الأمريكية مثل نيويورك تايمز، وول ستريت جورنال، وواشنطن بوست، كما أصبح صديقًا لرجل الأعمال اليهودي روبرت مردوخ مالك قناة فوكس نيوز. مع انتهاء فترة خدمته في السفارة، طلق نتنياهو زوجته الثانية فلور (1981-1988) التي قررت البقاء في الولايات المتحدة، فيما قرر العودة إلى إسرائيل لخوض غمار الحياة السياسية، حيث عرض عليه عدد من أعضاء حزب الليكود الترشح لانتخابات الكنيست في عام 1988، وليبدأ في خوض منافسة مع ثلاثة سياسيين صاعدين من حزب الليكود، هم دان ميريدور وإيهود أولمرت وروني ميلو حول من سيقود الحزب مستقبلًا.

يوضح نتنياهو أنَّ الليكود كان ينقسم آنذاك داخليًّا إلى معسكرات متصارعة على قيادة الحزب: معسكر شامير – أرينز، ومعسكر ديفيد ليفي، ومعسكر شارون، ومعسكر موشيه كاتساف. ويوضح أنَّه كان ضمن معسكر شامير – أرينز، لكنه حرص على الانفتاح على بقية المعسكرات تطبيقًا لقاعدة (كن لطيفًا مع الجميع). وبالفعل فاز بعضوية الكنيست، ثم مع تعيين أرينز وزيرًا للخارجية، اصطحب معه نتنياهو الذي عمل نائبًا له للتدرب على شغل منصب وزاري مستقبلًا.

يشير نتنياهو إلى أنَّ الإعلام الذي يسيطر عليه اليسار استقبله بشكل سلبي، حيث وصفوه بأنَّه ليس إسرائيليًّا حقيقيًّا، إنما هو مواطن مستورد من أمريكا حيث عاش بها 18 عامًا من سنوات عمره البالغة 38 عامًا آنذاك. بل وصفته صحيفة فرعية تابعة لهآرتس بأنَّه عميل لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ومن ثم بدأت معركة تكسير عظام بينه وبين اليسار، وبينه وبين الإعلام، ما زالت فصولها تجري حتى الآن.

المشاركة في مؤتمر مدريد

بحلول عام 1992، طلب رئيس الوزراء إسحاق شامير من نتنياهو الانضمام إلى الوفد الإسرائيلي المشارك في مؤتمر مدريد كمنسق لجهود العلاقات العامة. وعلى الرغم من عمل نتنياهو آنذاك تحت إشراف وزير الخارجية آنذاك ديفيد ليفي الذي حل مكان أرينز، فإنَّ نتنياهو كان يقدم تقاريره مباشرة إلى شامير مما أشعر ليفي بالتهميش، فقرر عدم السفر إلى مدريد. وبمساعدة أرينز الذي أصبح وزيرًا للدفاع انتقل نتنياهو للعمل نائبًا للوزير في مكتب رئيس الوزراء.

خسارة الليكود انتخابات 1992، وفوز نتنياهو بزعامة الحزب

خسر حزب الليكود انتخابات عام 1992 في هزيمة مدوية. وشكل رابين الحكومة بقيادة حزب العمل. وبحسب نتنياهو أصيب قادة الليكود باكتئاب، فأعلن موشيه أرينز وشامير استقالتهما من الكنيست، وعدم رغبتهما في الاستمرار بقيادة الحزب، وهي فرصة انتهزها نتنياهو للإعلان عن ترشحه لرئاسة

الليكود، وفاز في انتخابات الحزب الداخلية على ديفيد ليفي وموشيه كاتساف وبيني بيجن، وتمت الموافقة على طلبه بإجراء انتخابات تمهيدية داخل الليكود لمرشحيه للكنيست، يقول نتنياهو: (أصبح اتصالي المباشر بناخبي الليكود هو الأساس الدائم لسلطتي السياسية. لو ترك مصيري للسياسيين، لما كنت لأصبح رئيسًا للوزراء).

نشر كتاب جديد

في عام 1993 نشر نتنياهو كتابه الجديد "مكان بين الأمم"، وقد أزعجه تجاهل الصحافة الإسرائيلية للكتاب، وعدم انتقادها ما ورد فيه، وسبب انزعاجه هو أنَّ (المعارك الفكرية والأيديولوجية تساعد في نشر الأفكار). في هذا الكتاب تطرق نتنياهو إلى تمييز نوعين من السلام: السلام بين الديموقراطيات، والسلام بين الديموقراطيات والديكتاتوريات. فقال إنَّ الديموقراطيات تميل نحو السلام. لن تتم إعادة انتخابك إذا بدأت الحروب باستمرار وأرسلت أبناءك وبناتك للموت في ميادين المعارك بالخارج. من ناحية أخرى، تصل الديكتاتوريات إلى السلطة من خلال ممارسة العدوان على شعوبها، فما الذي يمنعهم من ممارسة العدوان على جيرانها؟ الجواب ... لا شيء إلا قوة الردع، وليس عبر التنازلات.

انتقاد نهج السلام الذي تريده واشنطن

يقول نتنياهو إنَّ:

(الإدارات الأمريكية تغذت على مدى عقود على نظرية التنازلات الإقليمية، ولم تستطع التفكير بأي طريقة أخرى. ترى فقط أنَّ الانسحاب من الأراضي المحتلة يمكن أن يؤدي إلى السلام. كما اعتقدت إدارة كلينتون أنَّ سوريا لاعب رئيسي في الشرق الأوسط، فإذا أبرمت إسرائيل اتفاق سلام مع دمشق، فمن المؤكد أنَّ هذا سيفتح طريقًا للسلام، والثمن هو انسحاب إسرائيل بشكل كامل من الجولان... وهذا النهج لم يفترض احتمال حدوث تغيير سياسي في الدول العربية، مما يجعل وضع إسرائيل أكثر خطورة. وقد حدث هذا بالفعل عندما سيطر الإسلاميون على أجزاء من سوريا أثناء الحرب، وفي مصر مع سيطرة الإخوان المسلمين على الحكم، وفي غزة مع استيلاء حماس على السلطة.

على عكس اتفاقية السلام مع مصر عام 1979، والتي تركت شبه جزيرة سيناء الشاسعة -ضعف مساحة إسرائيل- كمنطقة فصل منزوعة السلاح بين مصر وإسرائيل، فليس لمرتفعات الجولان عمق استراتيجي إذ يبلغ متوسط عرضها 12 كيلومترًا. ونظرًا لارتفاع الجولان 300 متر فوق بحيرة طبريا، فإذا تخلت إسرائيل عنها، يمكن للجيش السوري ببساطة أن يسير إلى الجليل ليهدد خزان المياه الرئيسي لإسرائيل، ويكون في وضع يسمح له بغزو الجزء الشمالي من إسرائيل دون أي عائق طوبوغرافي يقف في طريقه. يجب أن تحتفظ إسرائيل بالأرض المرتفعة في الجولان في أي صفقة مستقبلية. فمن هذا الموقع يمكن أن نصل بسهولة إلى دمشق على بعد عشرين كيلومترًا فقط، إذا انتهكت سوريا اتفاق السلام).

يوضح نتنياهو أنَّه رغم إيمانه وإيمان حزبه الليكود بشعار جابوتنسكي "ضفتي الأردن لنا"، فقد دعم عقد رابين لمعاهدة سلام مع الأردن في عام 1995 لأنَّها تضمنت تنازلات متواضعة، وأضفت الطابع الرسمي على سلام كان قائمًا بالفعل منذ عقود بين إسرائيل والمملكة الهاشمية. ولتمرير موافقة الليكود قال

نتنياهو لقادة الحزب: (بما أنَّ الجانب الشرقي من نهر الأردن يسكنه أربعة ملايين عربي، فإن ضمه لنا لن يحدث، لكن سيبقى ارتباطنا التاريخي بالضفة الشرقية للأردن في قلوبنا إلى الأبد).

اتفاقية أوسلو

بحسب نتنياهو، فقد اكتشف رابين بعد وقت قصير من أداء حكومته اليمين في عام 1992، أنَّ يوسي بيلين مساعد شمعون بيريز، يعقد مفاوضات سرية مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في العاصمة النرويجية أوسلو. فكتب رابين رسالة غاضبة إلى بيريز، واشتكى من أنَّ هذه المفاوضات قد تعرقل فرصة التقدم مع الوفد الفلسطيني الذي شارك في مؤتمر مدريد للسلام، وما زال يلتقي بشكل دوري مع نظيره الإسرائيلي في واشنطن. وقد وافق رابين على توقيع اتفاق أوسلو للسلام مع عرفات، وأقيم حفل التوقيع في 13 سبتمبر 1993 برعاية الرئيس كلينتون في حديقة البيت الأبيض. ووافق عليه الكنيست بفارق صوت واحد. وبمقتضاه انسحبت إسرائيل في المرحلة الأولى من مدينتي أريحا وغزة، وسُلِّمَت أسلحة لقوات الأمن الفلسطينية.

يشدد نتنياهو على أنَّ رابين تحدث في خطابه الأخير أمام الكنيست، الذي ألقاه قبل شهر من اغتياله، عن أنَّه سيمنح الفلسطينيين وضعًا هو "أقل من دولة". وأكد (أنَّ إسرائيل ستبقي على كتل استيطانية كبيرة في يهودا والسامرة وغوش قطيف في منطقة غزة، كما ستحتفظ بالسيطرة على وادي الأردن؛ باعتباره يمثل الحدود الأمنية لإسرائيل في الشرق).

ورغم ما سبق، يرى نتنياهو أنَّ اتفاق أوسلو جلب قيادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى جوار المراكز السكانية الإسرائيلية الرئيسية، وزرع الرعب بدلًا من أن يوفر السلام. وأنَّه تسبب في مقتل أكثر من ألف إسرائيلي خلال موجة المواجهات في 1995-1996، وفي 1999-2002. فيما استمرت منظمة التحرير في تجريد اليهود من إنسانيتهم بوصفهم بالخنازير.

في 4 نوفمبر 1995، قُتل رابين على يد الشاب اليميني إيجال أمير، فيما يعلق نتنياهو (كان الأمر مروعًا لأنَّ زعيمًا لإسرائيل قُتل على يد أحدنا. هذا لم يحدث منذ ألفي عام، منذ المعارك الضروس بين الطوائف اليهودية التي قاتلت بعضها البعض على أسوار القدس بينما حاصر الرومان المدينة في عام 70 م)، إنَّ الاقتتال الداخلي أمر مرفوض، و(لقد فهم بيغن نفسه ذلك، عندما رفض في عام 1948 تنفيذ تمرد مسلح من طرف الأرغون؛ احتجاجًا على غرق سفينتهم ألتالينا[2] ومقتل ستة عشر من أعضائها. حيث تجنب حربًا أهلية كارثية).

انتخابات عام 1996، والفوز برئاسة الوزراء

استعان نتنياهو في انتخابات عام 1996 بمستشار الدعاية الأمريكي آرثر فينكلستين الذي وضع العديد من قواعد الدعاية الانتخابية الجديدة في إسرائيل. ومن أبرزها:

[2] - هي سفينة تابعة لمنظمة الأرجون حملت مهاجرين وأسلحة من فرنسا، وطلب بن جوريون تسليم السلاح ومحتويات السفينة، ولكن مناحيم بيغن رئيس الأرغون رفض، فأمر بن جوريون بتدميرها.

- خفف من رسائلك الإيجابية والسلبية إلى بضعة شعارات بسيطة. مثل "نتنياهو من أجل سلام آمن" مقارنة بـ "بيريز يقسم القدس".
- إبعاد السياسيين عن الأدوار المهنية مثل الإعلانات.
- تكرار رسائل الحملة عبر إعلانات متلفزة إلى حد الغثيان.

في المقابل أرسل كلينتون خبير الدعاية الأول في حملته، جيمس كارفيل، خبير استطلاعات الرأي رفقة فريقه من الخبراء إلى إسرائيل للمساعدة في دعم بيريز. وبحسب نتنياهو فقد قال المبعوث الأمريكي الخاص دنيس روس: "لقد فعلنا كل ما في وسعنا لمساعدة بيريز على الفوز". ورغم ذلك فاز نتنياهو بنسبة 50.5 في المائة مقابل 49.5 في المائة لبيريز. وكان الرئيس كلينتون من بين أول من اتصل به لتهنئته على فوزه، وقال له ضاحكًا: (بيبي، لقد فعلنا كل ما في وسعنا لإسقاطك، لكنك هزمتنا بشكل عادل).

اللقاء السري مع ولي عهد الأردن في لندن

يكشف نتنياهو أنَّه قبل الانتخابات ببضعة أشهر، وبعد فترة وجيزة من تنصيب بيريز رئيسًا للوزراء بديلًا بعد اغتيال رابين، أرسل الملك حسين لنتنياهو رسالة عبر شقيقه ولي العهد الأمير حسن، يسأله فيها: هل ستلتقي الحسن سرًّا في لندن؟

رحب نتنياهو، وحين عقد معه اللقاء، فوجئ بأنَّ الحسن لم يحاول حتى إخفاء قلقه من احتمال انتصار بيريز (فقد كان هو والعديد من المسؤولين الأردنيين الذين التقيت بهم على مر السنين قلقين من أنَّ قيام دولة فلسطينية يمكن أن يقضي على النظام الهاشمي وسيطرته على الأردن).

نهج نتنياهو للسلام مع الفلسطينيين والعرب

يقول نتنياهو: (كنت دائمًا أرى أمريكا كحليف لا غنى عنه لإسرائيل)، وفي ظل الضغوط الأمريكية لاستكمال تنفيذ اتفاق أوسلو، والذي ينص في المرحلة التالية على الانسحاب الإسرائيلي من الخليل، قال نتنياهو لكلينتون سأحترم الاتفاقات بشرطين: المعاملة بالمثل من الفلسطينيين وضمان الأمن الإسرائيلي. وهو ما يتطلب سجن السلطة الفلسطينية لعناصر حماس، ووقف أي أنشطة للمقاومة ضد الاحتلال، وإلغاء ميثاق منظمة التحرير الداعي لإزالة إسرائيل، وتغيير مناهج التعليم التي تحرض على المقاومة. ويضيف نتنياهو: (باستثناء اليمين المتشدد الذي أراد مني أن أمزق اتفاقية أوسلو بشكل صريح، فإنَّ معظم آراء يمين الوسط والوسط اتفقت مع سياستي. لقد سئم الإسرائيليون من التنازل طواعية عن الأمور للفلسطينيين وتلقي الإرهاب في المقابل). وفيما يخص التفاوض مع سوريا، فقد قدم نتنياهو مطالب لخصها بقوله: (على سوريا أن تفكك أولًا مقار المنظمات الإرهابية الموجودة في دمشق).

يلخص نتنياهو سرديته للسلام قائلًا: (لم تكن المظالم الفلسطينية والسورية ضد إسرائيل متجذرة في سيطرة إسرائيل على هذه الأرض أو تلك. لهذا السبب هاجمونا من الجولان ويهودا والسامرة وغزة عندما كانت هذه المناطق بأيديهم. إنَّهم يرفضون وجود إسرائيل ذاته... إنَّ عجز الدبلوماسيين الأمريكيين عن رؤية هذه الحقيقة البسيطة يظل مذهلًا. ولكن لمواجهتها سيتعين عليهم التخلص من معادلة "الأرض

مقابل السلام"... إنَّ الأراضي التي أخليناها لصالح الفلسطينيين قد احتلتها قوات ملتزمة بتدميرنا، واستخدمتها لشن هجمات ضد إسرائيل).

(إنَّ العرب يسعون إلى تقليص إسرائيل إلى حدود لا يمكن الدفاع عنها باستخدام الضغط الأمريكي والدولي. بمجرد تحقيق ذلك، فإنَّ الهدف النهائي -القضاء على الدولة اليهودية بالكامل- سيكون أسهل بكثير).

(إنَّ السبب الحقيقي للمشكلة الفلسطينية هو الفلسطينيون أنفسهم! إنَّ رفضهم قبول دولة يهودية هو قلب الصراع... بالعمل مع إدارة ترامب، وقعت أربع اتفاقيات سلام تاريخية مع أربع دول عربية -الإمارات والبحرين والمغرب والسودان، دون نهج "الأرض مقابل السلام"... أود أن أؤكد أنَّ حقنا التاريخي وليس قوتنا فقط هو ما يبرر مطالبتنا بأرض إسرائيل).

(سأسعى إلى بناء القوة الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية لإسرائيل لضمان مستقبلها وتحقيق سلام حقيقي مع أولئك الذين يريدون السلام في العالم العربي. بالنظر إلى تقلب سياسات الشرق الأوسط، يجب أن يكون السلام دائمًا مبنيًّا على القوة والردع الإسرائيليين).

(إنَّ عددًا من القادة الإسرائيليين الذين أتوا بعدي -إيهود باراك شارون وإيهود أولمرت- قدموا للفلسطينيين وسوريا تنازلات خطيرة لا يمكن تصورها، حتى أكثر مما قدمه رابين وبيريز قبلي. لكنهم فشلوا جميعًا في تحقيق السلام).

الإصلاح الاقتصادي لإسرائيل

يوضح نتنياهو أنَّه تساءل: لدينا يهود ناجحون بشكل مثير للدهشة خارج البلاد، وعدد قليل جدًّا من الناجحين في إسرائيل، فما السبب؟ الإجابة: المشكلة ليست في البشر، إنَّها مشكلة النظام الذي لدينا، وعلينا تغييره. ففي حين كان الاقتصاد العالمي يتحول بسرعة إلى مجتمع متصل عالميًّا عبر نقل البضائع والأموال والخدمات في جميع أنحاء العالم بلمسة زر واحدة، هُمِّشَت إسرائيل بسبب القيود التي فرضتها على العملات الأجنبية، ففي عام 1998 لم يكن متاحًا للإسرائيليين أخذ أكثر من 7000 دولار من البلاد دون تصريح خاص من البنك المركزي الإسرائيلي "بنك إسرائيل"، وعند عودتهم من الخارج، اضطروا إلى إيداع وتسجيل جميع العملات الأجنبية التي بحوزتهم داخل البلاد، وهو ما جعل أبسط المعاملات الاقتصادية الدولية تمثل جحيمًا بيروقراطيًّا، حتى أنَّ أحد أصدقائه اضطر إلى الحصول على إذن خاص من بنك إسرائيل للدفع بالدولار مقابل الاشتراك في مجلة نيوزويك.

إنَّ الطائرات النفاثة والدبابات والطائرات دون طيار والغواصات والاستخبارات تكلف الكثير من الأموال. لا يمكن بناء قوة عسكرية دون بناء قوة اقتصادية أولًا، ومفتاح ذلك هو الأسواق الحرة والتكنولوجيا المتقدمة. إنَّ مزج القوة العسكرية والاقتصادية سيمنحنا القوة الدبلوماسية. ستهتم العديد من دول العالم، بما في ذلك الدول العربية، بإقامة علاقات معنا عندما نصبح قادة العالم في التكنولوجيا المدنية والاستخبارات العسكرية. إذا جمعنا كل هذا مع قدرتنا على التأثير في سياسة الولايات المتحدة من خلال الرأي العام، فسنصعد سريعًا بين العمالقة.

لقد رأى نتنياهو أنَّ إسرائيل لا تستطيع بناء قوتها العسكرية دون أن تصبح مستقلة اقتصاديًّا. وهو ما يستلزم إجراء إصلاح شامل للسياسات الاقتصادية شبه الاشتراكية التي كانت قائمة منذ عقود، وبناء اقتصاد للسوق الحر. وهو ما تطلب التحرر تدريجيًّا من الاعتماد على المساعدات الاقتصادية الأمريكية البالغة 1.2 مليار دولار سنويًّا، مع الاحتفاظ بنحو 2.2 مليار دولار من المساعدات العسكرية السنوية.

بنهاية فترة حكومته الأولى، بلغ إجمالي الأصول التي خُصِّصَت 4.5 مليار دولار، وهو ما يتجاوز قيمة جميع الأصول التي تمت خصخصتها في الثمانية والأربعين عامًا السابقة من تأسيس إسرائيل، وشمل ذلك خصخصة بنك هبوعليم.

كذلك توجه نتنياهو إلى إصلاح قطاع التعليم بهدف تنمية الاقتصاد، حيث رأى أنَّ الجامعات التي تسيطر عليها الدولة في إسرائيل لا تنتج عددًا كافيًا من علماء الرياضيات والمهندسين، وبالتالي تبنى سياسة تهدف إلى زيادة عدد المهندسين والفنيين المدربين على التكنولوجيا العالية في الجامعات الإسرائيلية بسرعة.

اجتمع نتنياهو مع اللجنة التوجيهية المشرفة على الجامعات، والتي تتكون من رؤساء الجامعات ووزير التربية والتعليم، وقال لهم: (أيها السادة، ليس لدي رغبة في التدخل بأي شكل من الأشكال في الحرية الأكاديمية. لقد جئت من عائلة أكاديمية، ولدي أقصى درجات الاحترام لدراسة العلوم الإنسانية. ولكن إذا كان من الممكن في ظل الوضع الحالي للاقتصاد العالمي استخدام أموال الحكومة لتمويل إما دراسة شعر التبت في القرن السابع عشر أو دراسة الإلكترونيات الدقيقة، فعلينا إذًا وضعها في الإلكترونيات الدقيقة).

وبالفعل تَبنى برنامجًا أسفر عن زيادة عدد خريجي العلوم والرياضيات بنسبة 50 في المائة في ست سنوات، بما في ذلك خريجي الكليات الخاصة الذين سارعت الحكومة في اعتمادهم. وخدم العديد من هؤلاء الخريجين في وحدات الاستخبارات والتكنولوجيا بالجيش الإسرائيلي حيث اعتادوا على الابتكار وحل المشكلات بسرعة، كما أُلحقوا بالمخابرات العسكرية والموساد وفروع أخرى من الأجهزة الأمنية والعلمية في إسرائيل.

اللقاء الأول مع الملك حسين، ومحاولة اغتيال خالد مشعل

دعا الملك حسين نتنياهو وزوجته سارة إلى لقاء سري في منزله خارج لندن، وسافر نتنياهو متخفيًا على متن طائرة مستأجرة من الموساد، وقال للملك: (إنَّني اعتبر بقاء المملكة الأردنية الهاشمية مصلحة إسرائيلية حيوية، وإذا لزم الأمر، سنتدخل عسكريًّا لمنع سقوطها). ويوضح نتنياهو أنَّ: (70 في المائة من سكان الأردن هم من الفلسطينيين، بينما تعتمد الأسرة الهاشمية التي جاءت من الحجاز في حكمها للأردن على أبناء القبائل البدوية، وأعرب عن مخاوفه بأنَّه في حال حدوث تغيير سياسي، فإنَّ الأردن بحدوده الطويلة مع إسرائيل، سيصبح قاعدة لإقامة دولة فلسطينية معادية، يمكن استخدامها كقاعدة انطلاق لشن حرب شاملة لتدمير إسرائيل).

في عام 1997، أسفرت هجمات لحماس عن مقتل عشرين إسرائيليًّا، وقرر نتنياهو الرد على قيادة الحركة التي دبرت تنفيذ الهجمات من الخارج قائلًا: (كان استهداف القادة الإرهابيين من أكثر الوسائل فعالية

لردع ومنع الهجمات المستقبلية... بناء على طلبي، قدم الموساد قائمة بالعديد من قادة حماس. بدا أنَّ الأكثر أهمية من بينهم هو خالد مشعل، وهو شخصية صاعدة في حماس شجع زيادة الهجمات ضد إسرائيل. لأسباب تشغيلية، لم يكن الوصول إليه متاحًا في أي من الأماكن السهلة في البلاد التي يتمتع فيها عملاؤنا بسهولة الوصول نسبيًا، ويوجد فيها كذلك عدد أقل من التعقيدات إذا حدث خطأ ما. أوصى الموساد بمهاجمة مشعل في الأردن، التي تمتعت بالميزة الأولى دون الثانية. أصيب مشعل، وألقي القبض على عملاء الموساد. وأصبحت بحاجة لتحقيق ثلاثة أشياء: إعادة عملاء الموساد إلى إسرائيل، وإنقاذ مشعل، وحل الأزمة مع ملك الأردن.

لتهدئة الملك حسين، طلبت من إفرايم هاليفي رئيس الموساد الذي تربطه علاقة وثيقة بشكل استثنائي بالملك، المساعدة في المفاوضات. اقترح هاليفي تنفيذ مقايضة، سنطلق سراح الزعيم الروحي لحركة حماس الشيخ أحمد ياسين من سجنه وفي المقابل سيطلق الأردن سراح عملاء الموساد. وقيل لي إنَّ هذا الإفراج تمتع بمبرر إضافي، وهو أنَّ الشيخ ياسين يمر بحالة صحية سيئة لدرجة أنَّه إذا مات في سجن إسرائيلي فسوف نُتهم بقتله، وربما يحدث رد فعل عنيف. أوصى معظم رؤساء الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بالإفراج عنه.

تمت المقايضة في 7 أكتوبر 1997، وأُطلق سراح رجالنا، وأُطلق سراح ياسين إلى منزله في غزة. في النهاية، عادت العلاقات مع الأردن إلى طبيعتها. ياسين لم يمت بسبب المرض ولكنه مات بعد سبع سنوات، في عام 2004، خلال غارة جوية إسرائيلية بأمر من شارون.

كنت أعلم أنَّني سأواجه انتقادات بشأن الصفقة، لكنني تذكرت الدرس من عمليتي السرية الأولى: عندما تكون في حقل ألغام، اخرج فورًا قدر المستطاع.

على الرغم من أنَّ مشعل كان هدفًا مناسبًا، وعلى الرغم من أنَّ الموساد أوصى بالأردن كمكان، كان يجب أن ألغي مثل هذه العملية في بلد صديق. كان يجب أن أدرك منذ البداية أنَّ الأردن كان موقعًا غير مناسب لمثل هذه العملية. من الأفضل أن تكون حكيمًا في تجنب المزالق بدلًا من أن تكون ذكيًا في التخلص منها.

انتفاضة النفق

في 23 سبتمبر 1996، بعد حوالي شهرين من عودتي من زيارتي الأولى لواشنطن، قررت فتح نفق أسفل حائط المبكى. شجعني رئيس بلدية القدس الجديد إيهود أولمرت، وعامي أيالون رئيس جهاز الشاباك على القيام بذلك. لكن تفجرت أحداث شغب واسعة. رفعت سماعة الهاتف وتحدثت مع عرفات قائلًا له: "السيد الرئيس نحن في وقت أزمة، لذلك سأكون موجزًا وسأدخل في صلب الموضوع. لديك ثلاثون دقيقة لتتصل بقواتك وتعمل على وقف كامل لأعمال العنف. إذا لم تفعل، سأرسل دباباتنا وأدمر نظامك".

بعد لحظة صمت، أجاب عرفات: "أنا أفهم". انتهت المحادثة. وبعد ثلاثين دقيقة بالضبط توقف كل شيء. وكانت محصلة الأحداث مقتل 17 جنديًا إسرائيليًا ونحو 80 فلسطينيًا.

في أعقاب هذا التفشي للعنف، سئلت عما إذا كنت قد استشرت رئيس الشاباك قبل فتح الأنفاق. قلت إنَّني فعلت ذلك، وأنَّ أيالون شجعني على القيام بذلك. لكن أيالون، الذي سعى لاحقًا لقيادة حزب العمل، نفى أنَّه شجعني على فتح النفق.

وللترويج لنفسه يقول نتنياهو: (أدت سياستي إلى نقل الإرهاب إلى أدنى مستوياته في العقد الذي أعقب توقيع اتفاقيات أوسلو، ثلاث تفجيرات انتحارية مميتة في السنوات الثلاث من 1996 إلى 1999، مقارنة بعشرة تفجيرات مماثلة في السنوات الثلاث التي سبقت ولايتي، و103 تفجيرات في الفترة المماثلة التي تلت ذلك).

الاستفادة من الإنجيليين

خلال سفر نتنياهو إلى واشنطن في عام 1998 للقاء الرئيس كلينتون، اجتمع مع القس جيري فالويل، الزعيم الإنجيلي وأحد أشد مؤيدي إسرائيل. يوضح نتنياهو: (في القرن التاسع عشر، بدأ رجال الدين البريطانيون والأمريكيون والأوروبيون في التحريض على عودة اليهود إلى أرض إسرائيل. حتى أنَّ الصهاينة المسيحيين سبقوا الصهاينة اليهود وسارعوا إلى دعم قضية عودة اليهود. في عام 1904، كان أحد أقرب المقربين من هرتزل، القس الإنجيلي ويليام هيشلر، هو الشخص الوحيد الذي سُمح له بالانضمام إلى عائلة هرتزل عند فراش موته.

لقد آمنوا بوحدة القدس، ودعموا الجاليات اليهودية في يهودا والسامرة وجمعوا الأموال لمساعدة المحتاجين في إسرائيل. لم يسع الإنجيليون لتحويل يهود إسرائيل إلى المسيحية، لكنهم سعوا بلا خجل لتحويل العديد من الحكومات إلى مواقف أكثر دعمًا لإسرائيل.

كان رابين أول رئيس وزراء يعترف بدور الإنجيليين، وقد عين بيغن وشامير كمنسقين خاصين للتواصل مع الإنجيليين. لقد قدرت الدعم غير المحدود من القادة الإنجيليين مثل بات روبرتسون وجيري فالويل وروبرت جيرس ومايك إيفانز. وقد أسس صديقي الهولندي يان ويليم فان دير هوفن "السفارة المسيحية الدولية في القدس"، وأسس القس جون هاجي منظمة "مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل"، وهي منظمات قوية عملت بلا كلل لتعزيز قضية إسرائيل في أمريكا وأماكن أخرى.

لقد كان تحالفي مع المسيحيين الإنجيليين عاطفيًّا ومفاهيميًّا. تبددت المعارضة الأولية لهذا التحالف من قبل اليهود الأرثوذكس، وحل محلها معارضة اليساريين المناهضين للدين الذين أثاروا في بعض الأحيان بشكل متناقض حججًا دينية قائلين ألا تعلم أنَّ الإنجيليين يخططون لتحويل كل اليهود إلى المسيحية في آخر الزمان؟

كان رابين يرد عليهم سابقًا: "سنناقش ذلك عندما نصل إلى هناك".

الآن، في عام 1998، في مواجهة حملة ضغط كلينتون لمواصلة مسيرة السلام، لجأت إلى حلفاء إسرائيل الإنجيليين للحصول على المساعدة).

المناكفات مع مادلين أولبرايت، وكلينتون

قبل لقائي في لندن مع وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت، نشرت الصحافة البريطانية عناوين درامية مثل "العد التنازلي للسلام" معلنة أنَّ مستقبل السلام في الشرق الأوسط يعتمد على نتيجة نقاشي مع أولبرايت. كالعادة، كان النص الضمني هو أنَّ الأمر متروك لي، وأنا وحدي، لتقديم التنازلات اللازمة لتحقيق السلام.

عندما بدأ الاجتماع في أحد فنادق لندن، أعطتني أولبرايت إنذارًا نهائيًّا لقبول بعض الجوانب غير المقبولة في المفاوضات مع الفلسطينيين. وقالت لي: "لديك ساعتان لتعطيني إجابة. إذا لم تفعل، سأذهب إلى الإعلام لأخبرهم من المسؤول عن عرقلة السلام".

قلت: "سيدتي الوزيرة، لست بحاجة إلى ساعتين، لست بحاجة حتى إلى دقيقتين. لننهي هذا الاجتماع الآن ونذهب إلى الصحافة العالمية لنخبرهم بما يحدث. سأقول لهم إنّي بصفتي رئيس وزراء إسرائيل لن أُعرض للخطر أكثر من ثلاثة آلاف عام من كفاح الشعب اليهودي، عبر الاستسلام لظروف من شأنها أن تعرض الدولة اليهودية الوحيدة للخطر".

لم نذهب إلى الردهة.

قالت أولبرايت لاحقًا في مذكراتها: إنَّ التفاوض معي كان شكلًا من أشكال التعذيب.

وخلال اجتماعات واي ريفر بالولايات المتحدة، كان من بين مطالب عرفات أن أفرج عن سجناء فلسطينيين مسجونين بتهمة المشاركة في هجمات وأنشطة للمقاومة. قلت إنَّ بإمكاني التفكير في الإفراج عن بعضهم إذا أطلق الرئيس المصري حسني مبارك في نفس الوقت سراح بعض المواطنين الإسرائيليين المسجونين ظلمًا في مصر بتهم تجسس وهمية.

عندما اتصلت بمبارك مباشرة من الولايات المتحدة، رفض الإفراج عنهم. شرحت لكلينتون أنَّه نظرًا لرفض مبارك لا يمكنني تلبية هذا المطلب الفلسطيني. علاوة على ذلك، أخبرت عرفات أنَّ لديه قتلة خطرين يتجولون في السلطة الفلسطينية، وأنَّه بحاجة إلى التعامل معهم. لقد فجر كلينتون فتيل الأزمة، ثم خرج ليتهمني بعدم الارتقاء إلى مستوى المناسبة التاريخية. في خضم الصمت المتوتر الذي أعقب ذلك، وبختني الوزيرة أولبرايت كما لو كنت تلميذًا، قائلة: (الآن انظر ماذا فعلت! لقد أزعجت رئيس الولايات المتحدة!) لم تكن القضية هي المشاعر الشخصية، بالنسبة لي كان أمن إسرائيل ومستقبلها، ولن أتنازل عن هذا الأمر.

في وقت سابق، وعد كلينتون بأنَّه في حالة إتمام الصفقة، فإنَّه سيطلق سراح الجاسوس الإسرائيلي جوناثان بولارد، الذي أمضى 15 عامًا في سجن أمريكي. كانت إسرائيل قد أوقفت جميع أنشطة التجسس في الولايات المتحدة بعد القبض عليه في عام 1985. كان حكمه بالسجن لمدة ثلاثين عامًا أطول بكثير من الأحكام التي صدرت ضد الجواسيس السوفييت الذين أضروا بأمن الولايات المتحدة.

أخبرت كلينتون أنَّ الإفراج عنه من شأنه أن يهدئ هذا الجو المؤسف، وسيكون عملًا إنسانيًّا من شأنه أن يكسبه الكثير من محبة الجمهور الإسرائيلي. وافق كلينتون على إطلاق سراح بولارد في الأيام التي سبقت اجتماع واي ريفر. صُمِّمَ هذا ليكون حافزًا إضافيًّا لي للقيام بالصفقة. الآن، في الساعات الختامية للمؤتمر، طلب كلينتون رؤيتي قائلًا: (بيبي، أنا آسف، لا يمكنني إطلاق سراح بولارد. أنا أواجه معارضة هائلة من البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية. جورج تينيت مدير وكالة المخابرات المركزية هدد بالاستقالة. أنا لا أستطيع فعل ذلك".

لقد صُدمت.

إنَّ رئيس الولايات المتحدة الذي وبخني مسؤولوه باستمرار لعدم امتلاكي الشجاعة لاتخاذ قرارات صعبة تتعلق بأمن بلدي ويمكن أن يطيح بحكومتي، يتراجع عن التزام رسمي بسبب عقبة بيروقراطية لم تهدد رئاسته بأي حال من الأحوال.

فكرت في إفشال الصفقة، لكن في النهاية قررت عدم القيام بذلك. كانت واي ريفر صفقة بسيطة. لم تتنازل إسرائيل عن أي مساحة كبيرة من الأراضي أو أي مناطق استراتيجية أو تاريخية مهمة. كنت أشك في أنَّه يمكنني الحصول على شروط أفضل، وسيتبع ذلك الضغط على إسرائيل للحصول على تنازلات أكبر بكثير إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق. وفي 23 أكتوبر 1998 وقعت الاتفاقية).

بقي بولارد في السجن طوال عقدين مقبلين. طوال فترة ولايتي رئيسًا للوزراء، عملت بلا انقطاع لإطلاق سراحه وإحضاره إلى إسرائيل. على الرغم من جهودي، كان علينا انتظار انتهاء مدة عقوبته المطولة. رون ديرمر الذي عينته لاحقًا سفيرًا في واشنطن، ظل على اتصال منتظم به. في 29 ديسمبر 2020، استقبلت بولارد في إسرائيل أثناء نزوله من الطائرة مع زوجته المصابة بالسرطان، إستير، والتي توفيت بعد أقل من عام.

السقوط في الانتخابات عام 1999، والعودة في عام 2001

يقول نتنياهو: (في عام 1996، اعتبر 67% من الناخبين أنَّ الأمن هو القضية الأولى لديهم. بحلول عام 1999، انخفض ذلك إلى 40%. كنت ضحية نجاحي. لقد هزمني إيهود باراك بنسبة 56% مقابل 44%، بهامش الفوز الذي قدمه الناخبون العرب الإسرائيليون، الذين فضلوه بنسبة 95 % مقابل 5% لي.

أعلنت استقالتي من قيادة حزب الليكود ومن الكنيست. وسرعان ما انتُخب شارون رئيسًا لحزب الليكود وزعيمًا للمعارضة.

انهار تحالف باراك، وطُرِدَ من منصب رئيس الوزراء في 7 مارس 2001، مما أكسبه وسام أقصر رئيس وزراء خدمة في تاريخ إسرائيل.

طلب مني بعض أعضاء الليكود العودة لرئاسة الوزراء، فتهربت منهم قائلًا: لا أستطيع فعل ذلك إذ يشترط القانون الإسرائيلي أن يكون رئيس الوزراء عضوًا في الكنيست، وقد استقلت من الكنيست. فقالوا "لا يهم ذلك، سنشرع قانونًا يُمكن من ليسوا أعضاء كنيست من تولي منصب رئاسة الوزراء".

على الرغم من اعتراضي، فقد أقروا مشروع القانون. ضغط زملائي في الكنيست: "الآن بعد أن مررنا القانون، عليك العودة". بعد أن حوصرت في الزاوية، قلت إنَّني سأفكر في العودة إلى الحياة السياسية فقط إذا حل الكنيست نفسه. فالكنيست كان قد انتُخب مع باراك في عام 1999، وكان إلى حد كبير مع اليسار، ولن أستطع تمرير السياسات التي أريدها مع مثل هذا التحالف الهزيل. عندما قررت العودة إلى السياسة بعد أقل من عامين، استغرق الأمر ثماني سنوات أخرى لاستعادة رئاسة الوزراء.

سمعت تنهيدة كبيرة في معسكر شارون عندما أعلنت أنَّني لن أسعى لمنصب رئيس الوزراء. فعلى الرغم من كونه رئيس الحزب، فقد كان شارون سيتنحى جانبًا إذا قررت العودة، لأنَّ جميع استطلاعات الرأي أظهرت أنَّني سأهزمه بسهولة في الانتخابات التمهيدية لليكود. وقد هزم شارون بسهولة باراك، وأصبح رئيس وزراء إسرائيل في 7 مارس 2001.

غزو العراق 2003

يقول نتنياهو: (كانت الفترة الحادي عشر من سبتمبر هي المرة الأولى التي ندمت فيها على عدم تولي منصب رئيس الوزراء. فمن هذا المنصب، كان من الممكن أن أشجع الولايات المتحدة على عرقلة برنامج إيران النووي.

بعد أسابيع قليلة من 11 سبتمبر، التقيت على انفراد بوزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد. كان واضحًا أنَّ الولايات المتحدة ستخوض حربًا مع العراق. بحلول ذلك الوقت تمحور تركيزي الأساسي في مكان آخر. سألت رامسفيلد عن إيران، فأشار إلى تعقد تشكيل تحالف واسع ضد إيران.

في محادثات غير رسمية أخرى مع أصدقاء في الإدارة الأمريكية، كنت أكثر مباشرة، حيث حثثتهم على استخدام الانتصار الوشيك على صدام لإعطاء إيران إنذارًا نهائيًا: تفكيك برنامجك النووي وإلا مواجهة نفس المصير. اعتقدت أنَّ هذا سيكون أكثر فائدة منتظرة من الحرب. كانت الإطاحة بصدام هدفًا نبيلًا، لكن عدم الاستفادة من هزيمته لتحقيق هذا الهدف الأكبر هو فرصة استراتيجية ضائعة.

أوقف النظام الإيراني لفترة وجيزة برنامجه النووي خوفًا من استمرار حروب الولايات المتحدة، ولكن بعد عام أو نحو ذلك، عندما أدرك الإيرانيون عدم وجود تهديد عسكري أمريكي مباشر، استأنفوا البرنامج النووي تحت غطاء برنامج "بحث مدني". حصلنا على دليل ملموس لهذه الحيلة في عام 2017 عندما سمحت بتنفيذ الموساد لعملية استولى خلالها على أرشيف إيران النووي السري، وأحضره إلى إسرائيل.

عودة نتنياهو للسياسة، والإصلاح الاقتصادي

يقول نتنياهو: (بعد أن تولى شارون في منتصف السبعينيات من عمره قيادة الحكومة والحزب، أصبح من الواضح أنّي الوريث الظاهر له بعد أن قررت العودة إلى السياسة. ومن خلال تقديم نفسي كمنافس وحيد لشارون في الانتخابات التمهيدية للحزب قبل انتخابات عام 2003، كنت أثبت حقيقة أنَّني خليفته، وقد حصلت على 40٪ من الأصوات، والمرتبة الثانية على قائمة الليكود، وشعرت بالرضا عن تحقيق هذا الهدف.

ورغم أنّي سلمت لشارون السلطة على طبق من فضة، ففي المقابل حصلت منه على جحود وقح. لكني سيطرت على مشاعري، وقد عيّنني شارون في منصب وزير المالية. كان ذلك صدمة.

لم يرغب أحد في الاقتراب من وزارة المالية؛ لأنَّ إسرائيل كانت تعيش في عام 2003 أعمق أزمة مالية منذ عقود. إنَّ التعيين في وزارة المالية كان بمثابة ضربة سياسية بارعة من شارون، فإذا نجحت في المنصب فسوف أنقذ حكومته وأسمح له بالحصول على الفضل، وإذا فشلت فسيتخلص من المنافس الرئيسي له على القيادة المستقبلية للبلاد، فالمعادلة هي (إما أنقذ الاقتصاد أو أشنق نفسي سياسيًّا). كذلك أدرك شارون أنّي بصفتي وزيرًا للمالية، سأكون منغمسًا في إصلاح الاقتصاد الإسرائيلي ولن أشترك في حيل سياسية ضده. لكن كانت هذه فرصة لتطبيق برنامجي الاقتصادي المتعلق بتبني سياسات سوق حرة، والتخلص من السياسات الاشتراكية التي تتبناها الحكومة، وملكية الدولة غير الضرورية لوسائل الإنتاج.

يقول نتنياهو: (لقد أصبحت إسرائيل غنية بشكل خاطئ: غنية بالبيروقراطية، غنية بالضرائب، غنية بالنقابات، غنية بالاحتكارات. ومع ذلك كانت فقيرة في حرية المبادرة وإطلاق المشاريع الاقتصادية. إنَّ الأسواق الحرة هي العنصر الذي لا غنى عنه لتكوين الثروة.

لكن الإصلاحات الاقتصادية تنطوي دائمًا على مواجهة خصوم أقوياء: النقابات وجماعات الضغط والشركات الكبرى والبيروقراطيين والسياسيين المنافسين. يفضل معظم القادة السياسيين عدم الانغماس في هذه المياه التي تنتشر فيها أسماك القرش، فإذا تجرأوا على البدء في الإصلاحات، فنادرًا ما يروها، لأنَّهم سرعان ما يواجهون الإضرابات والمظاهرات والاحتجاجات العنيفة والحملات الإعلانية المضادة والانتقادات الصحفية. الأسوأ من ذلك، أنَّه يمكن طردهم من مناصبهم لتنتهي حياتهم السياسية).

(لقد فقد الاتحاد السوفيتي تفوقه كقوة عظمى عالمية؛ لأنَّه فشل في التكيف مع مبادئ السوق. كانت الصين تأخذ مكانها بسرعة لأنَّها فعلت ذلك. كانت نفس الديناميكية واضحة في سنغافورة وأيرلندا، وهي دول صغيرة كان دخل الفرد فيها قبل 15 عامًا أقل من دخل الفرد في إسرائيل، ولكن من خلال تنفيذ إصلاحات سوق بعيدة المدى، تقدمت وتجاوزت بريطانيا واليابان، وأصبحتا لاعبين مهمين في المجال الاقتصادي العالمي... اعتقدت أنَّه في غضون 14 عامًا، يمكن لإسرائيل الانضمام إلى قائمة العشرين دولة ذات أعلى دخل للفرد. في نهاية المطاف، خلال فترات ولايتي اللاحقة كرئيسة للوزراء، تحقق هذا الهدف).

مرر الليكود في الكنيست برنامج السوق الحرة الأكثر ثورية في تاريخ إسرائيل. وقد شمل تخفيضات كبيرة في الميزانية الحكومية، ورفع سن التقاعد من واحد وستين عامًا إلى سبعة وستين عامًا للرجال، ومن ستين عامًا إلى أربعة وستين عامًا للنساء، فضلًا عن خصخصة الشركات الحكومية.

هددت النقابات بتنظيم إضراب عام. كنت أرى أنَّه دون التخفيض في كشوف المرتبات العامة لا يمكنني تخفيض الضرائب، ودون ضرائب أقل لن يكون هناك نمو، ودون النمو لن يكون هناك انتعاش. بدت المعركة مع اتحاد عمال الهستدروت حتمية. كنا متجهين نحو إضراب عام مطول قد يشل الاقتصاد لأسابيع وربما شهور.

ولكن هنا، جاء أوري يوغيف نائب مدير الإدارة والميزانية باقتراح رائع، ولكنه بسيط: إذا كان الإضراب العام ثمنًا لا مفر منه يجب دفعه مقابل إصلاح واحد، فلماذا لا تفكر في تمرير عدة إصلاحات في وقت واحد؟ بهذه الطريقة سنزيد عدد الإصلاحات لكل إضراب!

قررت أن أخاطر بتمرير عدة إصلاحات كبيرة دفعة واحدة. وعندما لم أصل لاتفاق مع النقابات، قررت فرض الموضوع من خلال تشريع مباشر. وبعد تقديم قانون التقاعد إلى الكنيست، أعلنت النقابات عن إضراب عام في 29 أبريل 2003. أصاب الإضراب البلد بالشلل لعدة أشهر، لكن يُحسب لرئيس الوزراء شارون أنَّه دعمني بالكامل، وتم تمرير مشروع قانون الإصلاح، وأنهت النقابات الإضراب في 18 مايو.

أنتج إصلاح نظام التقاعد ثلاث مزايا ضخمة. أولًا، بعد حرمانهم من السندات الحكومية ذات الدخل المضمون، بدأت صناديق المعاشات التقاعدية في الاستثمار في البنية التحتية لإسرائيل، مما وفر مصدر رأس المال الذي تشتد الحاجة إليه للتنمية المادية للبلاد.

ثانيًا، أدى ظهور سوق سندات الشركات الخاصة إلى تكوين رأس مال إضافي.

ثالثًا، في محاولة للاستفادة من معاشات التقاعد قبل حلول موعد الإصلاحات، والتي كانت على وشك الاختفاء، اختار العديد من موظفي الحكومة التقاعد المبكر. أدى هذا إلى خفض رواتب الحكومة بنسبة مذهلة بلغت 6 في المائة في عام 2004، وهو أكبر انخفاض في عدد موظفي الحكومة في تاريخ إسرائيل.

قبل أن نطبق الإصلاحات الاقتصادية في عام 2003، كانت هناك 56 شركة متعددة الجنسيات لها مراكز بحث وتطوير في إسرائيل. بعد أقل من عشرين عامًا، في عام 2021، وصل هذا العدد إلى 400 شركة.

الخلاف مع شارون حول الانسحاب من غزة

في 18 ديسمبر 2003، فاجأ شارون المواطنين بإعلان خُطته للانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة. كان منطقه المعلن هو أنَّ إسرائيل يجب أن تتخلص من السيطرة على هذا العدد الكبير من السكان الفلسطينيين، وستفعل ذلك بينما تتنازل عن الحد الأدنى من الأراضي. وجادل بأنَّ أمن إسرائيل سيتعزز، وأنَّه إذا أُطلق صاروخ واحد علينا، فإنَّ إسرائيل سترد بكثافة تتمتع فيها بدعم دولي كامل.

بعد أسبوعين، أعلن شارون رسميًّا خُطته لإخلاء ما مجموعه 21 تجمعًا إسرائيليًّا في قطاع غزة، وأربعة في شمال الضفة. بعد أسبوعين من ذلك، دعاني لحضور اجتماع لمحاولة تهدئتي. قلت: "عندما تنسحب إسرائيل من جانب واحد، نعرف ما تقدمه إسرائيل، لكن على ماذا تحصل إسرائيل؟".

لقد أثرت على وجه التحديد الاحتمالية المُقلقة بأن تستولي حماس على المناطق التي أخليناها وتستخدمها لمهاجمة إسرائيل.

قال شارون. "سنرد بقوة". أجبته: "بمجرد أن تؤسس مبدأ الانسحاب للهروب من الإرهاب، فإنَّ الإرهاب سوف يلاحقك".

كنت في مأزق رهيب. من ناحية، كنت مقتنعًا بأنَّ الانسحابات الأحادية الجانب من شأنها أن تؤدي إلى إنشاء جيب لحركة حماس في نهاية المطاف، مما يعرض كل إسرائيل للخطر.

بالنظر إلى اعتبارات شخصية بحتة، كان ما يجب فعله هو الاستقالة. لا يمكنني أن أكون جزءًا من حكومة تعرض أمن إسرائيل للخطر بشكل غير مسؤول.

ومع ذلك، كان هناك جانب آخر. إذا تركت منصب وزير المالية قبل الأوان، فإنَّ الثورة الاقتصادية ستتوقف عن مسارها، وربما لن تُستأنف أبدًا.

قررت تبني استراتيجية البقاء في منصب وزير المالية لأطول فترة ممكنة، وتأخير استقالتي إلى آخر لحظة ممكنة. في نفس الوقت سأحاول تأخير خُطة فك الارتباط عن غزة من داخل الحكومة من خلال قيادة مبادرة لتقليل نطاقها وتعظيم الترتيبات الأمنية التي سنحصل عليها في المقابل. في الوقت نفسه، سأدفع بجنون للحصول على عشرات الإصلاحات الاقتصادية الهيكلية لتغيير اقتصاد إسرائيل من اقتصاد شبه اشتراكي إلى اقتصاد رأسمالي.

من بين الأشياء التي اعتقدت أنَّ إسرائيل قد تحصل عليها ضمان معارضة أمريكية لحق العودة الفلسطيني، والاعتراف الأمريكي بمصالحنا الإستراتيجية في يهودا والسامرة.

لقد وافق شارون على طلبي بإجراء استفتاء في الليكود على الانسحاب أحادي الجانب. عندما فعل ذلك، أظهرت استطلاعات الرأي الداخلية في الليكود أنَّه سيفوز بأغلبية مريحة. لكن سرعان ما غيرت أنا والآخرون ذلك عبر تدشين حملة حشد مضادة، وتحول الرأي بشكل مطرد لمعارضة الخُطة.

خسر شارون بنسبة 60.5 في المائة مقابل 39.5 في المائة، لكنه قال إنَّ نتائج الاستفتاء لا تلزم الحكومة. قلت إنَّه ليس لديه تفويض من الجمهور، وعندما سعى للحصول على تفويض من حزبنا خسر بشكل حاسم.

تسبب تجاهل استفتاء الليكود في ثورة داخل الحزب. ظهرت كتلة متمردة من الليكود في الكنيست. في 20 يوليو، صوَّت الكنيست بناء على طلب المعارضة بتأجيل فك الارتباط. على الرغم من أنَّ شارون كان يتمتع بأغلبية قوية ضد التأجيل، فإنَّه حذر من أنَّ أي وزير يصوت لصالح المعارضة سيقال على الفور. تهربت من هذا الموقف عبر التغيب عن حضور التصويت.

بمقتضى خُطة شارون، سيُطرد ثمانية آلاف شخص من منازلهم، وستُسلم غزة إلى الفلسطينيين، وستسيطر عليها حماس في نهاية المطاف. وعند التصويت الأخير على فك الارتباط، صَوَّت ضده ثم سلمت شارون خطاب استقالتي.

في مؤتمر صحفي مساء ذلك اليوم، قلت: "بمجرد تشكيل قاعدة للإسلاميين في غزة، ستصل الصواريخ من غزة إلى عسقلان وأشدود". وفي الواقع، إنَّ تحذيراتي كانت أقل من الحقيقة. فحماس سرعان ما أطلقت آلاف الصواريخ على العديد من المدن الإسرائيلية أبعد من عسقلان وأشدود، بما في ذلك تل أبيب والقدس.

لقد دمر شارون كل التجمعات اليهودية التي بُنيت هناك خلال الأربعين سنة الماضية. المنازل والمراكز المجتمعية والمعابد اليهودية والشركات والمزارع - كلها هُدمت بالجرافات.

انشقاق شارون وتأسيسه حزب كاديما، والهزيمة في انتخابات 2006

بعد أن أشادت الصحافة الإسرائيلية بشارون، قرر الاستفادة من شعبيته. فانشق عن الليكود في 21 نوفمبر، وشكل حزبه الخاص كاديما.

في اليوم الذي أعلن فيه تشكيل كاديما، تم حل الكنيست والدعوة لانتخابات جديدة. حصل كاديما على 42 مقعدًا. وتدهور وضع الليكود، لكن سرعان ما أصيب شارون في 4 يناير 2006 بسكتة دماغية، ودخل في غيبوبة بقي فيها حتى وفاته بعد ثماني سنوات.

إيهود أولمرت، وزير الصناعة والتجارة والعمل حينها، تولى منصب رئيس الوزراء بالوكالة بحكم تسميته كرئيس وزراء احتياطي. كان أولمرت أحد قادة الليكود وعمدة القدس الأسبق. على الرغم من كونه سياسيًّا قديرًا فإنَّه لم يصل أبدًا إلى قلب مؤيدي الليكود. لقد هبط إلى المركز الثاني والثلاثين على قائمة الليكود في انتخابات عام 2003. الآن، بجلطة دماغية، نُقل إلى منصب رئيس الوزراء.

سرعان ما قاد أولمرت الحكومة وحزب كاديما الذي فاز في الانتخابات التالية في 28 مارس 2006 رغم خسارته لعدد كبير من مقاعد الكنيست. لقد كانت الهزيمة في انتخابات عام 2006 ساحقة، وهي الأسوأ في مسيرتي المهنية. لقد تقلص عدد مقاعد الليكود إلى اثني عشر مقعدًا بما يعادل 10 في المئة من مقاعد الكنيست.

شيئًا فشيئًا، بدأ الليكود في حشد التأييد الشعبي. لكن لم يكن من السهل تحدي أولمرت الذي تمتع بتأييد ساحق من اليسار، ومن الصحافة. كذلك أقام أولمرت صداقة مع الرئيس جورج بوش الابن، وبدأ في مفاوضات سلام مع الفلسطينيين. لكن جاءت الحرب ضد حزب الله في لبنان في صيف عام 2006 لتشهد مقتل 44 مدنيًّا إسرائيليًّا فضلًا عن 121 جنديًّا في ظل غياب مهمة محددة بوضوح من القيادة السياسية وأهداف واضحة قابلة للتحقيق.

كانت الحكومة بحاجة إلى أي شيء لتبرير إنهاء الحرب. وتفاعلت مع قرار الأمم المتحدة رقم 1701، الذي ينص على عدم انتشار حزب الله في جنوب لبنان أو وضع أي سلاح هناك، مع مراقبة هذا الترتيب وتنفيذه من قبل قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان، اليونيفيل.

على الرغم من أنَّ قرار الأمم المتحدة هذا كان عديم الفائدة منذ البداية ولم يُنفّذ حتى لذر الرماد في العيون، فإنَّه في ذلك الوقت حفظ ماء وجه الحكومة عندما وافقت على وقف إطلاق النار.

انخفض التأييد الشعبي لأولمرت إلى 6 بالمائة، وبدأت مشكلاته القانونية في الظهور. وتعين عليه لاحقًا الاستقالة، ليحل محله بطل جديد للسلام قادر على قيادة أجندة اليسار، وهو ما تجلى في تسيبي ليفني وزيرة خارجيته، التي تبنت بحماس المفاوضات مع الفلسطينيين.

حصلت ليفني على فرصة لتشكيل حكومة جديدة لكنها فشلت، وأُجريت انتخابات جديدة. حصل الليكود على27 مقعدًا مقابل 28 لكاديما، لكن "الكتلة" التي يقودها الليكود حصلت على 65 مقعدًا، وهو فوز واضح وحاسم. في غضون أسابيع قليلة شكلتُ حكومة جديدة، وعدت إلى مكتب رئيس الوزراء للمرة الثانية في عام 2009 بعد انقطاع دام عشر سنوات. وضممت حزب العمل بمقاعده الثلاثة عشر إلى حكومتي، وعينت باراك وزيرًا للدفاع.

الخلافات مع أوباما

إنَّ أوباما يؤمن بأولوية القوة الناعمة بينما أؤمن بأولوية القوة الصلبة، خاصة في الشرق الأوسط. كان الاختلاف الأكبر بيننا هو نهجنا تجاه دور القوة في العلاقات الدولية. فأوباما يعتقد أنَّ الكثير من مشكلات التاريخ نتجت عن الممارسة غير العادلة للسلطة المفرطة، خاصة من قبل القوى الاستعمارية الأوروبية وخليفتها أمريكا.

كذلك أقلقني اختيار أوباما في إدارته للعديد من أعضاء إدارة كلينتون ممن كانوا معاديين لي ولسياساتي. ومن أبرزهم رام إيمانويل أحد معارضي اليمين في إسرائيل على الرغم من أنَّ والده كان عضوًا في منظمة الأرغون في عام 1948. فقد كان رام يعتبر مثل كثيرين آخرين أنَّ جوهر الصراع في الشرق الأوسط هو غياب دولة فلسطينية، ووجود المستوطنات، كما ربط قدرة أمريكا على عرقلة تقدم إيران النووي بإحراز تقدم على المسار الفلسطيني.

في أول لقاء لي مع أوباما طلب مني تجميد الاستيطان، و(أشار إلى أنَّ إنشاء إسرائيل هو نتاج المحرقة النازية، متجاهلًا آلاف السنين من ارتباط الشعب اليهودي بوطنه)، ثم قال: (كما تعلم، غالبًا ما يستخف الناس بي. لكني أتيت من شيكاغو، حيث كان علي التعامل مع خصوم أقوياء). يقول نتنياهو: (كانت الرسالة واضحة. رئيس وزراء إسرائيل يُعامل على أنَّه سفاح صغير في الحي. دفعني الشعور بأنَّ الزعيم المنتخب لأمة عمرها أربعة آلاف عام يتعرض لسوء المعاملة وعدم الاحترام إلى الوقوف على قدمي قائلًا: سيدي الرئيس، أنا متأكد من أنَّك تقصد ما قلته. لكن أنا رئيس وزراء إسرائيل، وسأفعل كل ما أحتاجه للدفاع عن بلدي).

بعد انتهاء اللقاء قال بايدن نائب أوباما لنتنياهو: "ليس لديك الكثير من الأصدقاء هنا، يا صديقي". "أنا الصديق الوحيد الذي لديك. اتصل بي عندما تحتاج إلى ذلك "... افترضت أنَّ هذه قناة خلفية رُتِبَت مع البيت الأبيض لوقت الحاجة.

إنَّ رؤية السلام التي طرحها نتنياهو على إدارة أوباما تتخلص في التالي:

- اعتراف فلسطيني علني وملزم بإسرائيل كدولة قومية للشعب اليهودي.
- عدم العودة إلى حدود عام 1967.
- يجب أن يتمتع الفلسطينيون بالسلطات المطلوبة لحكم أنفسهم، دون أن تكون لديهم قوة لتهديد إسرائيل. فلن يتمكن الفلسطينيون من استيراد أسلحة أو إنشاء جيش أو إغلاق المجال الجوي أو عقد معاهدات مع دول أو منظمات معادية لإسرائيل.

- تحتفظ إسرائيل بالسيطرة الأمنية على الأرض وفي الجو على كامل المنطقة الواقعة غرب نهر الأردن، بما في ذلك المناطق الخاضعة للسيطرة الفلسطينية. وذلك بحُجة حماية إسرائيل من الشرق.
- تتمتع قوات الأمن الإسرائيلية بحرية الوصول لملاحقة المسلحين الفلسطينيين داخل الأراضي الفلسطينية، والحفاظ على المنطقة منزوعة السلاح.
- توافق إسرائيل على إطار اتفاق سلام مستقبلي لإقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح إلى جانب الدولة اليهودية.

في المقابل، يقول نتنياهو إنَّ أوباما، أعلن التزامه بأمن إسرائيل والتحالف الذي لا يتزعزع بين إسرائيل والولايات المتحدة، لكن إدارته تبنت مفهومين يتناقضان بشكل مباشر مع أمن إسرائيل:

- الأول: هو أنَّ إنشاء دولة فلسطينية يخدم أمن إسرائيل، رغم أنَّ مثل هذه الدولة الفلسطينية ستكون نقطة انطلاق لقوات تسعى لتدمير إسرائيل، وستؤدي إلى تقليص الدولة اليهودية إلى حدود لا يمكن الدفاع عنها.
- الثاني: السعي لسلام مع إيران. كانت إيران هي القوة الصاعدة في المنطقة كما رآها أوباما. لقد كانت المتنمر في الحي الذي يرسل الإرهابيين إلى كل بلد من الشرق الأوسط. ووفقًا لتجربته في أحياء شيكاغو، أرد أوباما البحث عن المتنمر، وعقد صفقة معه، وبالتالي تهدئة الوضع في الحي.

(لم يكن أوباما يسعى فقط إلى إعادة هيكلة الشرق الأوسط ولكن لإقامة علاقة جديدة مع العالم الإسلامي بأسره. لقد أرادت إيران تطوير أسلحة نووية تتيح لها تدمير "الشيطان الأصغر" إسرائيل، وتهديد "الشيطان الأكبر" أمريكا، وتصدير الثورة الإسلامية الشيعية إلى بقية العالم. إنَّ التهدئة مع إيران تعني تقوية إيران. لقد تعهد أوباما مرارًا وتكرارًا بمنع إيران من الحصول على أسلحة نووية، لكن كما اكتشفت لاحقًا، فإنَّ سياساته الفعلية تهدف لاحتواء ترسانة نووية إيرانية بدلًا من منعها. سواء كان الأمر كذلك أم لا، كنت على استعداد لمواصلة حرب تقليدية مع إيران من أجل تجنب الحرب مع إيران المسلحة نوويًا).

إنَّ الادعاء بأنَّ الاتفاق النووي سيمنع إيران من تطوير أسلحة نووية لم يكن صحيحًا بكل بساطة. في أحسن الأحوال، ستؤخر الصفقة ذلك لبضع سنوات مع إعطاء إيران الوسائل والأموال والشرعية لتصبح قوة نووية شرسة.

لهذا السبب قلت في خطابي في 2015 أمام الكونجرس، إنَّ الصفقة الوحيدة المنطقية مع إيران هي تلك التي من شأنها أن تزيل العقوبات الاقتصادية والقيود المفروضة على برنامج إيران النووي مقابل تفكيك القدرات النووية العسكرية الإيرانية، وتغيير واضح في سلوك إيران العدواني.

الضغط على روسيا لتأجيل بيع صواريخ إس 300 إلى إيران

كان التهديد الأكبر الذي أثار قلقي آنذاك هو إيران. أثناء إعداد خيارنا العسكري ضد القدرة النووية الإيرانية، خططت طهران لشراء بطاريات صواريخ مضادة للطائرات من طراز S-300 من روسيا، مما سيجعل مهمة سلاح الجو الإسرائيلي أكثر صعوبة في حال اخترنا توجيه ضربة لها.

في سبتمبر 2009، ذهبت إلى موسكو لعقد اجتماع سري مع فلاديمير بوتين. استقبلني في مسكنه الخاص في إحدى ضواحي موسكو، وهي الزيارة الأولى من بين العديد من الزيارات التي ناقشنا فيها كيفية زيادة تعاوننا الثنائي في التجارة والتكنولوجيا والزراعة والسياحة. غالبًا ما أعربت عن تقديري الحقيقي للتضحيات التي لا تضاهي التي قدمها الشعب الروسي والجيش الأحمر في هزيمة النازيين.

مع استثناءات نادرة، كان الموضوع الرئيسي في اجتماعاتنا هو إيران. قلت "أعلم أنَّك تنوي تزويد إيران بصواريخ إس -300، هل يمكنك تأخير التوريد؟". قال بوتين إنَّ روسيا ملزمة بعقد، وإنَّ إيران قد سددت بالفعل دفعة أولى.

أثناء غيابي، سأل صحفيون إسرائيليون عن مكاني. قال المتحدث باسم رئيس الوزراء إنَّني أقوم بتفقد تمرين عسكري. عندما تسربت أنباء أنَّني كنت في موسكو، ثارت ضجة كبيرة، قدمت الصحافة دليلًا آخر على أنَّني كاذب بالفطرة، كما لو أنَّ رئيس الوزراء مضطر إلى مشاركة مثل هذه المعلومات الحساسة مع الصحافة.

كانت زياراتي القادمة إلى موسكو كلها علنية. في 16 فبراير 2010، التقيت ببوتين مرة أخرى، هذه المرة في الكرملين. ركزت على إيران وأنظمة S-300، وهو موضوع عدت إليه في كل زيارة لاحقة. وانتهى الأمر بتأخير البيع لمدة سبع سنوات كاملة.

حادث السفينة التركية مافي مرمرة

يقول نتنياهو إنَّه عندما عاد إلى مكتب رئيس الوزراء في عام 2009، وجد مجموعة من القيود على الواردات إلى غزة، بما في ذلك المعكرونة، وبالتالي ألغى الكثير منها بحيث يمكن للفلسطينيين أن يستوردوا عن طريق البر أي شيء يريدونه باستثناء الأسلحة والمواد ذات الاستخدام المزدوج التي يمكن استخدامها لإنتاج الأسلحة أو بناء التحصينات.

عندما حاولت سفينة مافي مرمرة التركية كسر الحصار البحري على غزة، يزعم نتنياهو أنَّ جنودًا إسرائيليين تعرضوا لهجوم على متن السفينة من طرف مسلحين أتراك باستخدام قضبان حديدية وهراوات. وأنَّهم أثناء الدفاع عن أنفسهم، قتلوا تسعة من مهاجميهم الأتراك.

حثَّ نتنياهو أوباما على أن يطلب من مجلس الأمن الانتظار حتى التحقيق في الواقعة، كما طلب منه استخدام حق النقض ضد القرار في حال لم يوافق أعضاء المجلس على التأجيل. لكن أوباما قال إنَّه لا يستطيع تطبيق حق النقض، إذا فعلت ذلك، فستكون أمريكا معزولة.

لقد أتاح القانون الدولي للحكومة التركية والمواطنين الأتراك الحصول على أوامر اعتقال بحق جنود وقادة الجيش الإسرائيلي في العديد من البلدان. ولحل الأزمة، اضطررت إلى عقد صفقة تعويض مالية مع أردوغان بمساعدة الرئيس أوباما الصديق المقرب من الرئيس التركي.

لقد توصلنا بالفعل إلى اتفاق تعويض لعائلات الأتراك الذين قتلوا في العملية. ما كان مطلوبًا الآن هو نص مكتوب بعناية لمحادثة ختامية بيني وبين أردوغان. كتأمين إضافي ضد تخلي أردوغان عن الاتفاقية في

المستقبل، طلبت من أوباما أن يشارك في الاتصال الهاتفي. كان الرئيس التركي من أقرب أصدقاء أوباما من بين القادة الأجانب؛ ربما لأنَّ تركيا كانت في نظر أوباما مثالًا لدولة إسلامية حديثة وناجحة وديموقراطية. يُفترض أنَّ هذه الصداقة قد ضعفت فيما بعد عندما قام أردوغان، عقب محاولة الانقلاب ضده في 15 يوليو 2016، بتحويل تركيا إلى نظام استبدادي، وحبس جميع خصومه السياسيين، وألقى المزيد من الصحفيين في السجن أكثر من أي حاكم آخر على وجه الأرض.

على الرغم من حقيقة أنَّ الموساد قدم معلومات استخباراتية لتركيا منعت ما لا يقل عن ست هجمات إرهابية على الأراضي التركية، فإنَّ علاقاتنا مع تركيا لم تتعاف تمامًا. ورغم استمرار التجارة عند مستويات عالية نسبيًّا، فإنَّ السياحة الإسرائيلية -التي كانت مزدهرة سابقًا- تراجعت. ظل أردوغان يهاجمني وإسرائيل بشكل منتظم كأعداء للإسلام. بعد ما يقرب من عقد من الزمان، عندما بدأ الاقتصاد التركي في التذبذب، بدأ في تغيير لهجته وتخفيف موقفه إلى حد ما تجاه إسرائيل.

التراجع عن تشكيل حكومة مصغرة

في فترة حكمه الأولى، عمل نتنياهو على خفض عدد الوزراء إلى 18 وزيرًا على غرار وزراء الحكومة الأمريكية بدلًا من 30 وزيرًا. لكنه يقول: (اتضح أنَّ هذا القرار كان أحمقًا. ففي البرلمان الإسرائيلي الصغير المكون من 120 عضوًا فقط، يمكن لعضو أو عضوين ساخطين من أعضاء الكنيست في كثير من الأحيان إسقاط الحكومة. لقد تعلمت أنَّ الحد من عدد الوزراء حتى لو كان متسقًا مع رسالتي عن خفض النفقات، كان موقفًا لا يمكن الدفاع عنه، ولا يمكن أن تحافظ عليه الحكومات المستقبلية، بما في ذلك حكومتي. هناك حاجة لمنح مقاعد وزارية لأكبر عدد ممكن من أعضاء الكنيست من أجل ضمان استقرار الائتلاف في النظام السياسي الإسرائيلي. في حكوماتي اللاحقة، كلف الوزراء الإضافيون الملايين، لكنهم وفروا المليارات في مفاوضات الميزانية. ساعدت الأغلبية القوية التي جلبوها مع تعيينهم في تمرير إصلاحات اقتصادية هيكلية لم تكن لتتحقق لولا ذلك).

ثورة يناير في مصر، ومحاولة اقتحام السفارة في القاهرة

عندما اندلعت ثورة يناير في مصر، التقى نتنياهو مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل التي كانت تزور القدس، فسألته: هل تعتقد أنَّ هذا أمر خطير؟

أجاب: "أعتقد أنَّه أمر خطير للغاية". وقد حذرت واشنطن من أنَّ رحيل مبارك قد يؤدي إلى أسلمة مصر.

بعد أسابيع قليلة، استقال مبارك، وترك مصر بقيادة حكومة مؤقتة. أُستُبدِل لاحقًا بمحمد مرسي عضو جماعة الإخوان المسلمين، وهو ما اعتبرته تطورًا كارثيًّا لإسرائيل.

بعد سقوط مبارك، استأنف أوباما الضغط من أجل الانسحاب الإسرائيلي وإقامة دولة فلسطينية. لقد أدرك الكثيرون في إسرائيل الآن أنَّ مثل هذه الدولة سوف يتم الاستيلاء عليها من طرف الإسلاميين الذين يجتاحون مثل تسونامي معظم دول العالم العربي.

لقد تفاقم هذا الخوف مع تحول عباس المفاجئ إلى حماس، حيث وقع معها اتفاق مصالحة في مايو 2011، على الأرجح خوفًا من فقدانه السيطرة لحساب التيار الإسلامي المتصاعد. لقد بعثت برسالة إلى الولايات المتحدة: كيف تتوقعون منَّا أن نتفاوض على السلام مع شخص متصالح مع حركة ملتزمة بتدميرنا؟

في 9 سبتمبر 2011، أيقظتني مكالمة هاتفية عاجلة. لقد تجمع الآلاف من المتظاهرين حول المبنى الذي توجد فيه سفارتنا في الدور العاشر بالقاهرة. وهم مسلحون بالسكاكين والهراوات والقضبان الحديدية، هددوا بدخول المبنى، وقتل الإسرائيليين بداخله. اتصلت بأوباما وطلبت مساعدته في مخاطبة الحكومة المصرية.

من خلال الكاميرات الأمنية رأينا مثيري الشغب يدخلون المبنى. كان أحد مساعدي على اتصال هاتفي مع القائد المحلي لقوات الأمن المصرية، محاولًا دون جدوى حمله على التحرك وتفريق المشاغبين من المبنى.

قلت له: "قل له إنَّ المروحيات الإسرائيلية في طريقها إلى القاهرة الآن". كانت هذه خدعة. كنت قد أرسلت طائرتين مروحيتين إلى مطار القاهرة لاصطحاب عائلات الركاب الإسرائيليين. لكنني أردت من قوات الأمن المصرية أن تصدق أنَّ وحدة كوماندوس إسرائيلية ستهبط فوق المبنى، وتنفذ عملية إنقاذ في قلب القاهرة، وهو إحراج غير مقبول بالنسبة لهم.

بإلحاح من مساعدي، تحركت قوات الأمن المصرية. ودخلت المبنى بينما كان المشاغبون على وشك اقتحام الأبواب الخارجية لمكتب السفارة. وتم إيقافهم في الوقت المناسب.

عندما وصل مرسي للحكم، كان من أول الأشياء التي قام بها، انتهاك معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر عبر إرسال عشرات الدبابات وناقلات الجند المدرعة إلى سيناء دون إذن منا. لقد أرسلت لمرسي رسالة صارمة. إذا لم تقم بسحب هذه القوات في غضون سبعة أيام، فسوف أناشد الكونجرس الأمريكي لإيقاف 2 مليار دولار من المساعدات الأمريكية السنوية لمصر. كانت مصر في ضائقة اقتصادية شديدة. بما أنَّني لم أنشر التهديد، لم يفقد مرسي ماء الوجه. بعد أسبوع بالضبط سحب الدبابات والمدرعات من سيناء.

استهداف إيران

بينما كنت أستعد لاحتمال شن عملية عسكرية ضد المنشآت النووية الإيرانية في عام 2011، وبالتحديد ضد موقع التخصيب الرئيسي في نطنز الخاضع لمراقبة الوكالة الدولية للطاقة الذرية، نُبِهْنَا من قبل جهاز مخابرات أجنبي إلى موقع تخصيب سري جديد تحت الأرض تحت جبل بالقرب من مدينة قم.

عارضت العديد من المستويات العليا في جهاز الأمن الإسرائيلي توجيه ضربة هجومية، مثلما عارضوني في بناء السياج الحدودي مع سيناء الذي أوقف تمامًا تسلل المهاجرين الأفارقة، كما عارضوني في بناء الجدار الفاصل تحت الأرض الذي أوقف تمامًا الأنفاق القادمة من غزة.

لقد وافق وزيرا الدفاع والخارجية باراك وأفيغدور ليبرمان على تنفيذ الهجوم، لكن رئيس الموساد أكد أنَّنا سنحتاج إلى تصويت في مجلس الوزراء لجعل مثل هذا القرار قانونيًّا. بينما إحضار مثل هذا الملف إلى مجلس الوزراء قد يؤدي إلى تسريبات من شأنها أن تعرقل المهمة.

كان من الصعب تنفيذ أي عملية عسكرية اتحد قادة الجيش الإسرائيلي والموساد والشاباك لمعارضتها. وقد جادلوا بأنَّ التأخير في البرنامج النووي الإيراني الذي سينتج عن الضربة لن يستمر سوى بضع سنوات، وأنَّه على أي حال لا يمكننا العمل دون موافقة مسبقة من الولايات المتحدة. وعندما حاولت طرح الأمر للتصويت في مجلس الوزراء المصغر، رفض عضوان كنت آمل أن يدعموا القرار.

قلت لأوباما: "لم أقرر بعد التصرف عسكريًّا". "لكني أريدك أن تعرف أنَّني أحتفظ بالحق الكامل للقيام بذلك".

أجاب: "لا أستطيع أن أقرر ذلك لك. يمكنني فقط أن أخبرك بما أفكر به: إنَّه سيكون خطًا".

قلت: "أنا أسمعك، لكنني لم آتِ إلى هنا للحصول على الضوء الأخضر".

بالتشاور مع وزير الدفاع باراك، أجّلنا قرار الضربة المحتملة لبضعة أشهر.

في العديد من الديموقراطيات، يتوخى القادة العسكريون الحذر بشكل طبيعي ولا يحبون الإجراءات غير المتوقعة التي يمكن أن تخل بخططهم الموضوعة بعناية وبالميزانيات. في إسرائيل، حيث يمكن أن تكون الحياة السياسية مغرية بعد الخدمة العسكرية والأمنية، هناك سبب إضافي لعدم هز القارب. يمكن أن تؤدي الأفعال إلى الفشل، والفشل يمكن أن يؤدي إلى تسريحك بشكل غير مشرف، ويعرقل فوزك مستقبلًا بمهنة سياسية واعدة. ومنذ لجنة التحقيق التي أعقبت الإخفاقات خلال حرب 1973، وكلفت كبار المسؤولين حياتهم المهنية، أصبحت لدى القادة مشكلات في القيادة الجريئة والمبدعة.

الإفراج عن شاليط

في عام 2011، واجهت أحد أصعب القرارات في حياتي المهنية. ففي يونيو 2006، خطفت حماس الجندي جلعاد شاليط فيما قتلت جنديين إسرائيليين آخرين. وطالبت بثمن باهظ لتبادل أسرى مقابل إطلاق سراحه.

إنَّ استعادة الأشخاص من الأسر هو مبدأ أساسي من مبادئ اليهودية، ويعطي روحًا قوية للجيش الإسرائيلي. ولكن في الوقت نفسه، فإنَّ إطلاق سراح القتلة الخطرين قد يودي بحياة المزيد من الإسرائيليين، ويخلق حافزًا لعمليات خطف إضافية.

في ظل الافتقار إلى المعلومات الاستخباراتية التي يمكن أن تساعد في تنفيذ عملية إنقاذ، كان أملنا الوحيد في إعادة شليط إلى بيته، هو خفض المقابل الذي ستأخذه حماس إلى مستوى يمكن تحمله.

إنَّ الحملة العلنية المنظمة للإفراج عن شليط شجعت حماس على إبقاء الثمن عاليًا. فضل معظم أعضاء مجلس الوزراء إبرام صفقة، ورفضت القيام بذلك. لكن فجأة خففت حماس من بعض مطالبها. فوافقت

على الذهاب إلى صفقة. أعطيت الأمر لمفاوضينا لإخبار الوسطاء الألمان أنَّه بالنظر إلى مرونة حماس الأخيرة، فأنا مستعد للتخفيف من شروطنا أيضًا. أدى ذلك إلى تسريع فوري للمفاوضات، وفي 18 أكتوبر 2011 استقبلت شليط.

الخلافات مع لابيد وبينيت

استعدادًا للانتخابات في عام 2013، شكلت قائمة مشتركة في الكنيست بين الليكود وحزب إسرائيل بيتنا بزعامة أفيغدور ليبرمان، على أمل تعزيز الائتلاف المقبل. وكان هذا خطًا فادحًا. فبعض ناخبي الليكود واليهود الروس يكرهون بعضهم البعض؛ لدرجة أَّنهم يفضلون عدم التصويت لقائمة تضم من لا يحبونهم.

لقد فزت بالانتخابات في 22 يناير 2013 وبالكاد حصل اليمين على واحد وستين مقعدًا. لكن الحزب اليميني، البيت اليهودي لنفتالي بينيت، شكل تحالفًا مع لابيد، وقال الاثنان إنَّهما سينضمان إلى حكومتي فقط بشرط استبعاد الأحزاب الدينية الأرثوذكسية.

عمل بينيت لدي من نهاية عام 2006 حتى فبراير 2008، وكان يتوق إلى الشهرة والسلطة، وقد أكد ذلك استعداده لاستبعاد جزء مهم من اليمين من أجل تحالفه الانتهازي مع لبيد.

ليبرمان، الذي عمل أيضًا معي تحرك ضدي في النهاية حيث انضم لاحقًا إلى ائتلاف بينيت، والذي تضمن حزبًا يساريًّا متطرفًا وحزبًا إسلاميًّا تابعًا لجماعة الإخوان المسلمين يعارض إسرائيل كدولة يهودية.

في عام 2012، وفي ظل غياب أي خيار آخر، وافقت على السماح لبينيت ولابيد بالانضمام إلى ائتلافي. أدت حكومتي الثالثة اليمين في 18 مارس 2013، مع لابيد وزيرًا للشفافية وبينيت وزيرًا للاقتصاد. كان هذا "التحالف الأخوي" بين حزب بينيت اليميني المتطرف وحزب لابيد في يسار الوسط غريبًا. الشيء الوحيد الذي وحدهم هو الرغبة في السلطة والاستعداد للتخلي عن التزاماتهم لناخبيهم لتحقيق ذلك.

غارات على مطار الخرطوم، واغتيال أحمد الجعبري

نبهتنا الاستخبارات العسكرية والموساد إلى شحنة كبيرة من الصواريخ موجهة لحماس ستُنقل عبر الخرطوم. دعوت إلى اجتماع لوزير الدفاع وكبار قادة الجيش والموساد للمصادقة على العملية. كانت القاذفات الإسرائيلية ستحلق على طول البحر الأحمر ثم تنحرف إلى السودان، وتدمر الحاويات في مطار الخرطوم. إنَّ المسافة كبيرة -ألف كيلومتر ذهابًا وإيابًا- لكن سلاح الجو الإسرائيلي يمكنه التعامل معها.

هدفت العملية السرية إلى وقف تهريب الأسلحة الإيرانية من السودان إلى حماس. إذ تصل بعض الأسلحة عن طريق البحر إلى بورتسودان، والبعض الآخر عن طريق الجو إلى مطار الخرطوم الدولي. من كلا الوجهتين، تُنْقَل الأسلحة بالشاحنات عبر وادي النيل إلى سيناء، ومن هناك تُهرَّب عبر الأنفاق إلى غزة.

أمرت بشن غارة جوية على مطار الخرطوم. ونُفِّذَت في منتصف ليل 23 أكتوبر 2012. ودُمرت أربعون حاوية مليئة بالأسلحة والمتفجرات، ولقي اثنان من السودانيين مصرعهم. وللتأكد من وصول الرسالة إلى

حاكم السودان عمر البشير، بعثت إليه برسالة موجزة من خلال قنوات سرية قلت له فيها: "أنت التالي". سرعان ما أغلق طريق التهريب من السودان.

على الرغم من أنَّ الصحافة أفادت بحدوث انفجارات في مطار الخرطوم، فإنَّنا التزمنا الصمت. ثم بعد شهر من غارة الخرطوم، حددت استخباراتنا مكان قائد القسام أحمد الجعبري. كان بإمكاننا استهداف السيارة التي يستقلها دون الإضرار بأسرته وبأقل قدر من الخسائر المدنية. كنت أعلم أنَّ مثل هذه الضربة ستؤدي إلى جولة أخرى من الصواريخ تطلقها حماس على مدننا ثم ضربات مضادة من جانبنا.

لقد تم تجهيزنا آنذاك ببطاريات القبة الحديدية المضادة للصواريخ العاملة حديثًا. في التدريبات غير القتالية كان أداؤها واعدًا. أُستخدمت لأول مرة قبل سبعة أشهر، ولكن هل سيعمل هذا النظام تحت وابل كثيف من الصواريخ؟ لا أحد يعرف على وجه اليقين.

أمرت بالضربة. قُتل الجعبري وسط غزة في عام 2012. كانت الرسالة الموجهة إلى قادة حماس واضحة: عاجلًا أم آجلًا ستنال منكم إسرائيل. ويجب تعزيز هذه الرسالة بشكل دوري.

كما كان متوقعًا، أعقب الغارة إطلاق حماس آلاف الصواريخ. أثبتت القبة الحديدية فعاليتها ضد ما يقرب من 90٪ من مقذوفات حماس، وهو إنجاز رائع. ومع ذلك، كان على مليون إسرائيلي يعيشون داخل المنطقة الممتدة من أشدود إلى بئر السبع وعسقلان أن يركضوا باستمرار إلى الملاجئ لحماية أنفسهم من الصواريخ التي تخطت القبة الحديدية.

مع تواصل المعركة، تضاءل مخزوننا من صواريخ القبة الحديدية. وبما أنَّنا حققنا هدفنا الرئيسي، وهو التخلص من الجعبري في بداية الحملة، لم يكن هناك جدوى من الاستمرار فيها. لكن إنهاء هذه الأنواع من العمليات أصعب بكثير من بدئها. يتوقع الجمهور أن تستمر الحكومة في المعركة و"تضرب غزة"، معتقدين أنَّه عبر العقاب الكافي سينهار نظام حماس. لكن هذا لن يحدث إلا إذا أرسلنا القوات البرية، وحينها ستتزايد الخسائر في الأرواح، عدة مئات على الجانب الإسرائيلي وعدة آلاف على الجانب الفلسطيني.

مع ارتفاع مستوى العواطف، كان وقف معركة كهذه مكلفًا للغاية من الناحية السياسية. فقادة حماس يخرجون من جحورهم ليعلنوا النصر من بين الأنقاض. لكني قررت إنهاء القتال بعد أسبوع من المعركة. فقدنا جنديين وأربعة مدنيين. وقد قُتل من الفلسطينيين 233 شخصًا، تم التعرف إلى 155 منهم على أنَّهم مسلحون، بما في ذلك العديد من القادة البارزين.

اتصلت بأوباما، وسألته عما إذا كان بإمكانه إرسال وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون إلى المنطقة، ووافق. قادمة من زيارة إلى إندونيسيا، تنقلت كلينتون بسرعة بين القدس والقاهرة وتوسطت في وقف إطلاق النار. كنت ممتنًا لها. بعد تسعة أيام من الغارة على الجعبري، أُعْلِنَ وقف إطلاق النار.

لقد كلف اتفاق وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه أمريكا حزب الليكود سياسيًّا. وقد فاز حزب بينت باثني عشر مقعدًا في انتخابات 2013، وجاءت العديد من أصواته من ناخبي الليكود الساخطين الذين

أصيبوا بخيبة أمل من الاختتام السريع لعملية "عمود الدفاع" ضد غزة. فيما فاز لابيد بتسعة عشر مقعدًا وحل محل كاديما. وقد تفكك حزب كاديما، وشكلت تسيبي ليفني حزبًا خاصًا بها حصل على ستة مقاعد.

أخبرت ليفني أنَّني سأعطيها حقيبة وزارة العدل إذا انضمت إلى ائتلافي، وانتهى بي الأمر بتشكيل الحكومة. كان لهذا القرار عواقب وخيمة فيما بعد بسبب اختياراتها للتعيينات في وزارة العدل.

عرض من كيري بزيارة أفغانستان

حاول وزير الخارجية الأمريكي جون كيري إقناعي بأنَّ التدريب الأمريكي لقوات الأمن الفلسطينية سيضمن مصلحة إسرائيل. وقال لي: أريد أن أرتب لك زيارة سرية إلى أفغانستان. سترى بأم عينيك ما العمل الرائع الذي قمنا به هناك لإعداد الجيش الأفغاني للسيطرة على البلاد بمجرد مغادرتنا.

قلت: "جون، في اللحظة التي ستغادر فيها أفغانستان ستقضي طالبان على القوة التي دربتها. وفي عام 2021، هذا بالضبط ما حدث. بمجرد أن سحبت الولايات المتحدة آخر قواتها، انهار الجيش الأفغاني الذي دربته الولايات المتحدة في غضون أيام.

تذكرت مناقشة شبيهة مع وزير خارجية سابق، جورج شولتز، الذي قدم نفس الحُجة لتشجيع انسحابنا من لبنان. كانت الولايات المتحدة تدرب الجيش اللبناني للسيطرة على البلاد. قلت إنَّه بمجرد مغادرة لبنان، ستسيطر القوى المتطرفة. ففي ظل غياب الحماسة المتوافرة لدى للراديكاليين، ستنهار القوات التي دربها الأمريكيون. هذا بالضبط ما حدث عندما انسحبنا من لبنان في مايو 2000. حزب الله سيطر على المنطقة الحدودية في لمح البصر. لقد قلل المسؤولون الأمريكيون مرارًا وتكرارًا من قوة الإسلاميين وبالغوا في تقدير قوة حلفائهم غير الإسلاميين. ما لم يكن لديك التزام قوي بالقتال والموت للدفاع عن بلدك، فإنَّ الإسلاميين سيفوزون في النهاية.

بناء الجدار العازل مع مصر

خلال عام 2013، عانت إسرائيل تدفقًا متزايدًا من المهاجرين غير الشرعيين من إفريقيا؛ حيث دخلها عبر الحدود المصرية نحو 40 ألف مهاجر. وكان هؤلاء في الأساس شبانًا أصحاء يغادرون إريتريا والسودان وبلدان أخرى بحثًا عن دخل أفضل، ففي يوم عمل واحد في تل أبيب يمكنهم كسب ما يعادل ثلاثمائة يوم عمل في بلدانهم الأصلية.

على الرغم من أنَّ العديد من المهاجرين يعملون بجد ويلتزمون بالقانون، فإنَّ بعضهم لم يفعلوا ذلك. فكثرت الجريمة في الأحياء التي دخلوها. وإنَّ وجود إسرائيل كدولة يهودية مبنيًا على الحفاظ على أغلبية يهودية صلبة. وإذا استمرت هذه الهجرة في النمو، فسيُقوّض أساس الدولة بأكمله.

هذا التحدي لم يأتِ من إفريقيا فقط. منذ عام 2014، جاء حوالي عشرين ألف مهاجر غير شرعي للعمل، من أوروبا الشرقية، دون أي صلة بإسرائيل أو اليهودية، وبذلنا جهودًا لإعادتهم إلى بلدانهم الأصلية.

تذكرت زيارة إلى سور الصين العظيم. وخلال اجتماع وزاري خاص مع قيادة الجيش، أعلنت عزمي بناء جدار على طول الحدود الإسرائيلية المصرية لمنع الهجرة غير الشرعية من إفريقيا. أردت من سلاح

الهندسة في جيش الدفاع الإسرائيلي أن يفعل ذلك. اعترض الجيش، وقال رئيس الأركان إنَّ السياج لن يحقق الغرض منه لأنَّ المهربين سيحفرون أنفاقًا تحته. فقلت: إنَّ المهربين بحاجة إلى مبانٍ لإخفاء نقاط الدخول والخروج بينما هذه صحراء قاحلة، ولا توجد مبانٍ على مرمى البصر لعدة كيلومترات.

العقبة التالية التي وضعها الجيش أمامي كانت التكلفة. عرضوا رسومًا بيانية لحاجز متعدد الطبقات شديد التعقيد، وقالوا إنَّ التكلفة ستصل إلى مليارات الشواكل. فأصدرت تعليماتي إلى سكرتير مجلس الوزراء لتقديم عرض منافس في الاجتماع المقبل لمجلس الوزراء من إدارة الأشغال العامة في وزارة النقل.

في مواجهة المنافسة، خفض الجيش تقديراته لتكاليف السياج بمقدار النصف تقريبًا. ووافق مجلس الوزراء على القرار في مارس 2010. وأثناء البناء في أغسطس 2011، وقع حادث أكد سببًا إضافيًّا لإقامة الجدار حيث عبر عدد من المسلحين من سيناء الحدود بالقرب من إيلات، وقتلوا ستة مدنيين إسرائيليين ومجندين. لقد كان تذكيرًا بأنَّ بناء السياج لم يكن حيويًّا فقط لوقف المهاجرين غير الشرعيين، بل إنَّه سيمنع العدد المتزايد من المسلحين القادمين من سيناء. بعد أقل من عامين من بداية بنائه، انخفض معدل التسلل إلى صفر.

حرب 2014، والدور المصري

في 12 يونيو 2014، تعرض ثلاثة شبان إسرائيليين للاختطاف على يد حماس خلال رحلة بالقرب من مدرستهم الدينية في منطقة غوش عتصيون في الضفة الغربية. وبعد ثمانية عشر يومًا، عُثِرَ على جثثهم.

اتصلت بأوباما، فقال إنَّه يؤيد حق إسرائيل في الدفاع عن النفس، لكنه رفض دعم أي عمل بري في غزة.

على عكس العملية السابقة في غزة عام 2012، لم ينفد مخزون القبة الحديدية حيث أصدرت تعليماتي للجيش بتسريع إنتاج مقذوفات وبطاريات القبة الحديدية، لقد أنجزنا ذلك بأموالنا الخاصة وبدعم مالي أمريكي سخي، وقد طلبت من إدارة أوباما حزمة إضافية بقيمة 225 مليون دولار لمواصلة خط الإنتاج بعد عملية الجرف الصامد عام 2014.

عملت بشكل وثيق مع الزعيم المصري الجديد، السيسي، الذي أطاح بالإسلامي مرسي قبل بضعة أشهر. كان هدفنا المشترك هو تحقيق وقف غير مشروط للقتال. كان آخر ما يريده السيسي هو نجاح حماس في غزة ما من شأنه أن يشجع حلفاءها الإسلاميين في سيناء وخارجها.

لدهشتي، حثني كيري على قبول قطر وتركيا كوسطاء بدلًا من المصريين الذين كانوا يتفاوضون مع ممثلي حماس في القاهرة من أجل وقف محتمل للقتال. وقد اتفقت أنا والسيسي على إبقاء الأمريكيين خارج دائرة المفاوضات.

خلال الحرب، خرق الوزير نفتالي بينيت -بدعم من أفيغدور ليبرمان- القاعدة التي ظلت تُحترم في إسرائيل منذ إنشائها. حيث هاجم بشكل علني أسلوب تعامل الحكومة مع الحرب، ودعا علانية إلى غزو بري واسع النطاق لغزة. بينما لا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتدمير الشامل لغزة، مع مقتل عشرات الآلاف من المدنيين. وبعد تدمير نظام حماس، سيكون على إسرائيل أن تحكم مليوني نسمة من سكان غزة لفترة غير

محدودة. لم يكن لدي أي نية للقيام بذلك، خاصة وأنَّ تركيزي على إيران التي تمثل تهديدًا أكبر بكثير. لذا قررت عدم القيام بغزو بري واسع النطاق.

بعد خمسين يومًا من القتال، انتهت عملية الجرف الصامد، ودخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في 26 أغسطس 2014. قُتل سبعة وستون جنديًّا إسرائيليًّا، فضلًا عن عدد من المدنيين الإسرائيليين، واعترض نظام القبة الحديدية 86٪ من الصواريخ، فيما قُتل 2125 شخصًا من سكان غزة، وتم تفكيك أو تحييد 32 نفقًا.

عقب ذلك أمرت ببناء حاجز تحت الأرض بطول 70 كيلومترًا على الحدود بين غزة وإسرائيل للدفاع ضد أي أنفاق هجومية. عارضت قيادة جيش الدفاع الإسرائيلي بناءه بسبب التكلفة المترتبة على ذلك. لكني أصررت. وفي حرب 2021، عمل الحاجز تحت الأرض المجهز بأجهزة استشعار متطورة بشكل مثالي. ولم يتم عبور نفق هجوم واحد إلى داخل إسرائيل.

مع فقداني السيطرة على ائتلافي الحكومي، قررت حل الكنيست بعد أن تلقيت معلومات مسبقة عن أنَّ ليفني ولابيد يتآمران للإطاحة بحكومتي. لم أكن أريدهما كوزراء في حكومتي أثناء الانتخابات. حتى يومنا هذا، لست متأكدًا تمامًا من أنَّ المعلومات التي قُدمت لي بشأن المؤامرة الوشيكة صلبة للغاية. لكنها كانت مقنعة بما فيه الكفاية.

السعي لإفشال الاتفاق النووي مع إيران، والتنسيق مع روسيا

في 14 يوليو 2015، بعد شهرين من تشكيل حكومتي الجديدة، تم توقيع الاتفاق النووي الإيراني الذي أطلق عليه اسم خُطة العمل الشاملة المشتركة (JCPOA) ضمن خطوات من شأنها أن تمنح إيران حقًّا في تخصيب اليورانيوم في غضون اثني عشر عامًا.

لقد أبقت الاتفاقية على منشآت إيران النووية سليمة دون نظام تفتيش فعال. ومكنت إيران من مواصلة تطوير الصواريخ الباليستية. ومن خلال رفع العقوبات، أعطت مبالغ ضخمة لأكبر دولة راعية للإرهاب في العالم.

إنَّ الخطر الأكبر الذي يواجه عالمنا هو زواج الإسلام المتشدد بالأسلحة النووية. إذا كانت إيران تلتهم أربع دول في الوقت الحالي وهي خاضعة للعقوبات، فكم عدد الدول التي ستلتهمها عندما تُرفع العقوبات عنها.

لقد هاجمت الصفقة بلا رحمة، واصفًا إياها بأنَّها "استسلام وخطأ ذو أبعاد تاريخية". قلت إنَّ إيران "ستحصل على طريق أكيد إلى أسلحة نووية. إسرائيل ليست ملزمة بهذه الصفقة. سندافع عن أنفسنا دائمًا".

قبل أيام قليلة، نقلت نفس الرسالة إلى موسكو. لم يهتم بوتين بأي إجراء نتخذه ضد إيران أو وكلائها في سوريا. ولكنه اهتم بسلامة قواته العسكرية على أرض سوريا، وفي أجوائها، ولا سيما منشآتها البحرية في ميناء اللاذقية السوري على البحر الأبيض المتوسط.

لقد حضر اجتماعات التنسيق المشتركة في الكرملين رئيس الاستخبارات الإسرائيلية، وقائد سلاح الجو الإسرائيلي، ورئيس أركان الجيش الإسرائيلي. كما أحضر بوتين نظراءهم الروس. وأنشأنا خطًا ساخنًا بين الجيش الإسرائيلي وقيادة القوات الروسية في سوريا. وللتأكد من عدم وجود أخطاء، وضعنا متحدثين أصليين للغة الروسية على جانبي الخط.

جدير بالذكر أنَّه في العقود التي تلت سقوط الاتحاد السوفيتي، هاجر مليون روسي إلى إسرائيل، مشكلين أكبر مجتمع من المتحدثين بالروسية خارج الاتحاد السوفيتي السابق.

مقترحات مع مصر والأردن لتبادل الأراضي

ماذا لو أعادت إسرائيل السياج الحدودي في سيناء إلى داخل الأراضي الإسرائيلية بمقدار كيلومتر أو اثنين، بطول مائتي كيلومتر؟ فهذا من شأنه أن يوفر لمصر 200 إلى 400 كيلومتر مربع، والتي يمكن أن تمنح بعد ذلك مساحة معادلة لغزة المزدحمة، على افتراض أنَّ السلطة الفلسطينية ستحل في يوم من الأيام محل حماس.

يمكن إجراء تبادل مماثل على طول مائتي كيلومتر شرق إسرائيل مع الأردن على طول وادي عربة. يمكن للأردن بعد ذلك أن يزود الفلسطينيين بمساحة معادلة من الأراضي الواقعة شرق الأردن. هذه المقايضات على طول حدود إسرائيل الطويلة ستمنح الفلسطينيين أرضًا إضافية مع تمكين إسرائيل من الاحتفاظ بأراضٍ استراتيجية قيمة في يهودا والسامرة، والحفاظ على التجمعات اليهودية والمواقع التوراتية في قلب وطننا التاريخي.

اعتقد وزير الخارجية الأمريكي كيري أنَّ المبادلة الثلاثية تستحق المحاولة، ووافق أوباما على ذلك. بعد ثلاثة أشهر، في فبراير 2016، التقيت سرًا بالعاهل الأردني الملك عبد الله والرئيس المصري السيسي والوزير كيري في العقبة.

على الرغم من أنَّ الاجتماع كان ممتعًا، فإنَّ الملك عبد الله والسيسي لم يوافقا عليها.

لاحظت أنَّه كلما قابلت السيسي سرًا في شرم الشيخ أو الملك عبد الله في عمان، يكون الحديث أكثر انفتاحًا وصراحة. لكن في وجود العم الأمريكي، يتبنون المواقف العربية التقليدية التي لا تترك مجالًا للإبداع. لم يكن أي من الزعيمين يريد أن ينكشف أمام شعبه.

التطور التكنولوجي

حققت إسرائيل إنجازات تكنولوجية بالأخص في مجال الري، فباستخدام أنظمة ري بالتنقيط محوسبة تحدد عبر أجهزة استشعار على الأرض أي جزء من الحقل جاف وغير جاف، مما يساهم في توفير المياه. كما نجحت في إعادة تدوير 90 في المائة من مياه الصرف الصحي، وبنت 3 محطات ضخمة لتحلية المياه على البحر الأبيض المتوسط، مما ساهم في حل أزمة عجز المياه. كذلك حققت اكتفاءً ذاتيًا من الطاقة عقب اكتشافات الغاز في البحر المتوسط، وتحولت إلى مصدر للغاز عبر بيعه إلى أوروبا بواسطة محطات تسييل الغاز الطبيعي في مصر.

وفيما يخص التطور في المجال السيبراني يقول نتنياهو: (في عام 2011، اتصل بي البروفيسور إسحاق بن إسرائيل، وهو عسكري سابق، كثيرًا ما نصحني بشأن الأمور العلمية.

قال: "أريدك أن تقرأ هذا الكتاب".

سألته: ما نوعه؟

قال: "إنَّها رواية".

أجبته: "أنا لا أقرأ الروايات". فأنا أقرأ في التاريخ والسير الذاتية والفلسفة السياسية وعلم الآثار والتكنولوجيا والاقتصاد.

أصر قائلًا: "سترغب في قراءة هذا".

لقد تناول الكتاب حربًا إلكترونية مستقبلية مفترضة بين الولايات المتحدة والصين.

اتصلت بإسحاق بن إسرائيل في اليوم التالي. وقلت: "بقيت مستيقظًا طوال الليل وأكملت قراءة الكتاب. تعال في أسرع وقت ممكن".

في حين أنَّ لدى إسرائيل قدرات سيبرانية موجودة بالفعل، فقد أقنعني الكتاب أنَّه يتعين علينا المضي قدمًا بشكل أسرع. وشكلتُ لجنة إرشادية مع بن إسرائيل وسكرتيري العسكري يوهانان لوكر لتطوير المؤسسات والتمويل والإجراءات لإدخال إسرائيل في الفضاء السيبراني.

كان السبب الأول لهذا التحرك هو الأمان. لا يمكن أن نكون في وضع أعزل مع هذه التكنولوجيا الجديدة القوية. في الملاحظات التي أدليت بها في جامعة تل أبيب في يونيو 2011، قلت: في غضون سنة واحدة، يجب أن تكون إسرائيل من بين القوى السيبرانية الأولى في العالم.

كان إدخال الحرب السيبرانية ضمن مجالات القوة شبيهًا بإدخال القوة الجوية في الحرب العالمية الأولى، وقد تطلب إنشاء قوة جديدة تمامًا ذات عقيدة جديدة. وقد استلزم ذلك استثمارات ضخمة في الجيش والموساد والشاباك، إلى جانب برامج لتجنيد الطلاب الأكثر موهبة منذ الصغر وإنشاء أقسام جامعية جديدة. كما استلزم إنشاء مركز وطني للدفاع السيبراني لحماية الشركات الإسرائيلية.

كيف تدافع عن شبكة الكهرباء من الهجمات السيبرانية التي يمكن أن تغلق البلاد؟ هل تفوض شركات القطاع الخاص بالدفاع السيبراني أو تتركه على أساس تطوعي؟

لحل معارك النفوذ البيروقراطية بين أجهزتنا الأمنية، أسست المقر الوطني السيبراني في 7 أغسطس 2011، وخصصت المسؤوليات والمهام وعينت الأشخاص لتنفيذها.

ساعد الاستثمار الحكومي الهائل في الأمن السيبراني على إنتاج مئات شركات السيبر الجديدة. لقد تنافسوا مع بعضهم البعض بشدة لتجنيد خريجين من وحدات الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي والأجهزة الأمنية.

ما بدأ كتحدٍ أمني تطور الآن إلى فرصة اقتصادية عظيمة. في العالم الرقمي هناك حاجة إلى الحماية السيبرانية في كل مكان. بحلول عام 2017، استحوذت إسرائيل على ثاني أكبر عدد من صفقات الأمن السيبراني على مستوى العالم، بعد الولايات المتحدة وقبل المملكة المتحدة.

بالمقابل (لقد تجنبت بجدية استخدام الهواتف المحمولة. لقد أُبعِدوا من مكتبي، وكذلك أجهزة الكمبيوتر وشاشات التلفزيون وغيرها من الأدوات التي يمكن أن تتيح للخصوم الوصول الصوتي والمرئي إلى المناقشات الأكثر حساسية في إسرائيل).

توسيع نطاق العلاقات الدولية لإسرائيل

يوضح نتنياهو أنَّه عمل خلال حكومته الأولى على توسيع علاقات إسرائيل الدولية خارج النطاق التقليدي للولايات المتحدة وأوروبا الغربية. ويقول: (لا شيء يمكن أن يحل محل تحالفنا الذي لا غنى عنه مع الولايات المتحدة، وهي شراكة متجذرة في القيم الحضارية المشتركة. لكن هذا لا يعني أنَّ الولايات المتحدة يجب أن تكون حليفنا الوحيد. وهكذا، في فترتي الأولى، سعيت إلى تحسين العلاقات بين إسرائيل وقوتين عالميتين أخريين، الصين وروسيا.

بعد الحصول على الموافقة الأمريكية، وافقت إسرائيل على توفير إلكترونيات الطيران لطائرة أواكس روسية (طائرة مزودة برادار محسن) ستُباع إلى الصين والهند. لكن غيرت الولايات المتحدة رأيها بعد ذلك، ولم يكن لدينا خيار سوى إجهاض المشروع. زرت الرئيس الروسي بوريس يلتسين في موسكو عام 1998. وخصص الجزء الأول من لقائي به لهذا الموضوع. وخصص الثاني بشكل أساسي لضرورة عدم قيام روسيا بتزويد إيران بالتكنولوجيا النووية أو الصاروخية. كان يلتسين ودودًا في ذلك اليوم. لكنه كان بلا طاقة. استطعت أن أرى أنَّه كان ينظر إلى روسيا بالفعل على أنَّها قوة متضائلة.

في ولاياتي التالية زار العديد من القادة الأفارقة إسرائيل بناء على دعوتي. لقد أخبرتني زوجتي سارة بحكمة أن أتخلص من وجبات العشاء الكبيرة التي أقمناها للقادة الأجانب أثناء ولايتي الأولى كرئيس للوزراء. كان المئات من الناس يحضرون هذه الأحداث الجماهيرية التي بالكاد أستطيع أنا وضيوفي خلالها الحصول على كلمة واحدة.

قالت سارة: "ادعوهم إلى عشاء في المنزل بدلًا من ذلك، هذه هي الطريقة التي تبني بها روابط شخصية حقيقية". كانت هذه إلى حد بعيد أفضل نصيحة حصلت عليها بشأن تعزيز الدبلوماسية الشخصية.

خلال هذه الأمسيات الهادئة، التي تحضرها أحيانًا زوجاتنا، كنت أتخلى أنا وضيوفي عن حذرنا بطرق غير ممكنة في الاجتماعات الرسمية، فتحدثنا حول حياة بعضنا البعض، وما الذي دفعنا إلى دخول السياسة، وكيف نظرنا إلى مستقبل بلداننا ومساهماتنا فيه. لم تقترب أي أوراق بحثية صادرة عن وزارة الخارجية أو الموساد من تقديم مثل هذه الأفكار.

دائمًا ما يتحول الحديث في النهاية إلى الولايات المتحدة. "هل يمكنك مساعدتنا في البيت الأبيض؟ مع الكونجرس؟ مع الجالية اليهودية الأمريكية؟ مع الإنجيليين؟".

بالإضافة إلى زياراتي الأربع لإفريقيا خلال ولاياتي المختلفة كرئيس للوزراء، زُرت أمريكا اللاتينية والبرازيل والمكسيك وكولومبيا والأرجنتين، وهي المرة الأولى التي يزور فيها رئيس وزراء إسرائيلي تلك البلدان.

مستهدفًا آسيا، زرت الصين والهند واليابان وأستراليا وسنغافورة. كما التقيت بزعماء اليونان وقبرص لتوطيد تحالف ثلاثي في شرق المتوسط.

زرت أذربيجان وكازاخستان، وهما دولتان مسلمتان، وناقشت معهما، ثم مع روسيا لاحقًا، دخول إسرائيل كشريك في الكتلة التجارية الآسيوية المكونة من 15 عضوًا والمعروفة باسم الشراكة الاقتصادية الإقليمية الشاملة (RCEP).

التقيت في فيلنيوس بليتوانيا مع زعماء دول البلطيق الثلاث: ليتوانيا وإستونيا ولاتفيا. في بودابست اجتمعت مع رئيس الوزراء المجري المؤيد لإسرائيل فيكتور أوربان، التقيت بزعماء آخرين من مجموعة فيشغراد - بولندا وجمهورية التشيك وسلوفاكيا.

مع العديد من هذه البلدان، وقعنا مجموعة من الاتفاقيات التي تبسط المعاهدات الضريبية، والاستثمار التجاري، والتبادلات التكنولوجية. عادة ما أحضر وفودًا من رجال الأعمال الإسرائيليين ليلتقوا بنظرائهم المحليين.

هذه الجولات التي روجت للتكنولوجيا الإسرائيلية وللمكانة الإسرائيلية في أنحاء العالم تتناقض بشكل حاد مع ممارسات رؤساء الوزراء الإسرائيليين السابقين. ففي العقود الستة الماضية، ركز القادة الإسرائيليون رحلاتهم في الغالب على أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية، إيمانًا منها بأنَّ هذه الأماكن تشكل قلب المجتمع الدولي. وعادة ما كانت إسرائيل تذهب إلى هناك متوسلة لطلب مزايا سياسية واقتصادية.

بينما تأتي الآن الدول الأخرى إلى إسرائيل من أجل أشياء تريدها منا مثل التكنولوجيا المدنية والمساعدة الأمنية واستخبارات مكافحة الإرهاب. وخلال ذلك يقرأ بعض القادة بشكل روتيني بعض الأسطر الإلزامية حول الحاجة إلى حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، مضيفين أحيانًا الحاجة إلى حل الدولتين. ثم نصل إلى العمل الحقيقي المتمثل في تعزيز العلاقات بين بلدينا.

عندما أصبحت إسرائيل قوة صاعدة في العالم، زارها رؤساء من جميع الدول الكبرى تقريبًا. كان الاستثناء الوحيد هو العائلة المالكة البريطانية. استغرق الأمر سبعين عامًا بعد تأسيس إسرائيل كي يقوم أحد أفراد العائلة المالكة البريطانية بزيارة رسمية إلى إسرائيل. ربما كان هذا الإغفال الصارخ قد نصح به مكتب الخارجية البريطانية الميال للعرب، والذي لم تكن لديه مشكلة في إرسال أفراد العائلة المالكة إلى دول أخرى في الشرق الأوسط. (باستثناء الجنازات حيث حضر الأمير تشارلز جنازة رابين في عام 1995 وجنازة بيريس في عام 2016). وصُحِحَ هذا الوضع في عام 2018 عندما زار الأمير وليام إسرائيل.

كان من الحكمة الانتباه إلى ملاحظة كيسنجر القائلة بأنَّ الصين لديها أكبر ناتج محلي إجمالي على وجه الأرض يعود إلى ألفي عام، باستثناء القرون الثلاثة الماضية. لذا كنت أرغب في فتح السوق الصيني الهائل أمام إسرائيل وجذب الاستثمارات الصينية إلى إسرائيل، لا سيما في البنية التحتية المادية.

من ناحية أخرى، كنت صريحًا تمامًا بشأن وضع قيود واضحة على أنواع التقنيات التي قد نشاركها مع الصين، والتوقف عندما يتعلق الأمر بالجيش والاستخبارات. كان هذا هو التزامنا الرسمي تجاه حليفتنا الولايات المتحدة، التي تشاركنا معها الكثير من هذه التكنولوجيا، فضلًا عن قيامنا كمجتمعات ديموقراطية.

بالإضافة إلى الصين، واصلت بذل جهود متضافرة لفتح سوقين عملاقين آخرين -الهند والبرازيل- أمام المنتجات الإسرائيلية. كانت البرازيل تاريخيًّا رائعة بالنسبة لإسرائيل. التقيت رئيسها ميشال تامر في الأمم المتحدة في عام 2017 مباشرة بعد زيارتي للمكسيك وكولومبيا والأرجنتين، فوجئت بتلقي دعوة منه لزيارة البلاد. "لماذا لم تأتِ لزيارتنا كذلك؟" سأل الرئيس. أجبته: "لم تتم دعوتي".

قال الرئيس: "أنت الآن مدعو".

علمت أنَّ البرازيل لديها المجتمع الإنجيلي الأسرع نموًا في العالم.

عندما خلف الرئيس بولسونارو تامر في عام 2018، دعاني لزيارة البرازيل ولحضور حفل تنصيبه في 1 يناير 2019.

كان بولسونارو المثير للجدل والمحافظ، والذي زار إسرائيل مرتين، مؤيدًا قويًا لتعزيز العلاقات مع إسرائيل.

المساعدات العسكرية الأمريكية

صيغت أول مذكرة تفاهم مع واشنطن خلال فترة ولايتي الأولى كرئيس للوزراء. ففي أعقاب خطابي أمام الكونجرس عام 1996 الذي دعوت خلاله إلى إنهاء المساعدة الاقتصادية لإسرائيل، تفاوضت مع إدارة كلينتون على صفقة تم بموجبها تخفيض 1.2 مليار دولار سنويًّا من المساعدات الاقتصادية بمقدار 120 مليون دولار سنويًّا لمدة عشر سنوات. في الوقت نفسه، تمت زيادة مساعداتنا العسكرية السنوية البالغة 1.8 مليار دولار بمقدار 60 مليون دولار سنويًّا، حيث ارتفعت إلى 2.4 مليار دولار في نهاية فترة العشر سنوات.

في عام 2007، عندما أوشكت مذكرة التفاهم ذات العشر سنوات على الانتهاء، تفاوض أولمرت على برنامج جديد مدته عشر سنوات مع الرئيس بوش الابن مقابل مبلغ أكبر. وقد دَعَّمَ الكونجرس المساعدة الأمنية الكبيرة لإسرائيل. اعتبرها الكثيرون استثمارًا قويًّا في حليف لم يطلب أبدًا قوات أمريكية، وساهم في دحر الإسلام المتشدد في قلب الشرق الأوسط، وقد أعطتنا الولايات المتحدة أسلحة متطورة، كما طورت بالاشتراك معنا أسلحة متقدمة.

في عام 2016 مع قرب انتهاء صلاحية الاتفاق الذي عقده أولمرت، أرادت طرح تجديد الاتفاق على أوباما، اقترح البعض انتظار الرئيس المقبل بسبب خلافي مع أوباما بشأن الاتفاق النووي مع إيران. لكني أصريت، ورأيت أنَّه سيمدد مذكرة التفاهم للتأكيد على استمرار دعم أمريكا لإسرائيل تحت إدارته. وبالفعل وافق أوباما على مذكرة تفاهم جديدة منحت إسرائيل 36 مليار دولار على مدى عشر سنوات، وُقِّعَت

مذكرة التفاهم في 14 سبتمبر 2016، قبل أقل من شهرين من انتخابات الرئاسة الأمريكية. لم تكن هذه هي المرة الأخيرة التي اضطررت فيها إلى فرض حكمي وإلمامي بالسياسة الأمريكية على نصيحة من يسمون بالخبراء في الشأن الأمريكي في بيروقراطيتنا.

إدارة ترامب

كنت أعلم أنَّ ترامب سيقدر الدعم الكبير لإسرائيل في المجتمع الإنجيلي، وهو العنصر الأكثر أهمية في قاعدته السياسية. وعلى عكس أوباما الذي كانت زيارته الخارجية الأولى إلى القاهرة، اختار ترامب القيام بأول زيارة خارجية له إلى السعودية وإسرائيل، وهما زيارتان لأهم حليفين لأمريكا في المنطقة. استقبله السعوديون في 20 مايو 2017 استقبالًا مبهرًا، ثم جاء إلى إسرائيل. وقد حددت 4 أهداف كبيرة لتحقيقها مع إدارة ترامب، وهي:

- إقناع الولايات المتحدة بالانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران.
- تشجيع واشنطن على الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل.
- حمل أمريكا على الاعتراف بسيادة إسرائيل على مرتفعات الجولان.
- تحقيق السلام مع المزيد من الدول العربية.

طرحت على ترامب أهمية نقل السفارة إلى القدس. في نهاية الاجتماع، طلبت من رون ديرمر أن يشرح لماذا يعد الاعتراف الأمريكي بسيادتنا على مرتفعات الجولان انتصارًا أمريكيًّا. قال رون "ستكون ضربة للإيرانيين الذين يحاولون ترسيخ وجودهم في سوريا". وقلت لترامب: (من خلال دحر الإسلام المتشدد، يمكننا اغتنام فرصة تاريخية، لأنَّه للمرة الأولى لا ترى الدول العربية في المنطقة إسرائيل كعدو، ولكن كحليف. أعتقد أنَّ هذا التغيير في منطقتنا تحت قيادتكم يخلق فرصة غير مسبوقة لتعزيز الأمن وتعزيز السلام).

جاءت الفرصة مجددًا لفتح موضوع الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على الجولان، عندما أعلن ترامب في فجأة في ديسمبر 2018 أنَّه سيسحب القوات العسكرية الأمريكية من سوريا. طلبت التحدث إلى ترامب، وشرحت له كيف يمكن أن يقوض هذا الانسحاب أمن إسرائيل وطلبت منه اتخاذ خطوات لتقليل تأثيره السلبي. ومن بين تلك الخطوات الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان. في 21 مارس2019، كتب ترامب على تويتر: "في الوقت الذي تسعى فيه إيران إلى استخدام سوريا كمنصة لتدمير إسرائيل، يعترف الرئيس ترامب بجرأة بسيادة إسرائيل على مرتفعات الجولان".

وفيما يخص خُطة ترامب للسلام مع الفلسطينيين "صفقة القرن"، فقد وافقت على التفاوض على أساسها، إلا أنَّها كانت خطرة بالنسبة لي من الناحية السياسية، لأنَّها طورت خريطة مفاهيمية لدولة فلسطينية مهما كانت محدودة في السلطات السيادية الفلسطينية، ومهما كانت سخية في الاعتراف بالأراضي الإسرائيلية السيادية مقارنة بالخطط السابقة.

العلاقات مع دول الخليج

لسنوات، حافظ الموساد على اتصالات أمنية مع نظرائه في العديد من الدول العربية. تعرضت العلاقات مع الإمارات لنكسة بعد اغتيال عضو حماس محمود المبحوح في دبي عام 2010. على الرغم من خروج عملاء الموساد من البلاد، فإنَّ الانكشاف العلني لاحقًا لدور الموساد في العملية تسبب في إحراج كبير للإماراتيين، وأزمة في العلاقات بين إسرائيل والإمارات.

لكن كل هذا بدأ يتغير حين بدأت غيوم إيران النووية تتجمع في الأفق، حيث أصبح واضحًا أنَّني الزعيم الوحيد المستعد لمعارضة الصفقة علنًا. توني بلير، الذي كان يتنقل ذهابًا وإيابًا بين الخليج وإسرائيل بصفته مستشارًا خاصًا، ضغط من أجل أن ألتقي بقادة الخليج. بمساعدته بين عامي 2016 و2018، التقى مبعوثي إيتسيك مولشو بممثلين لقادة دول الخليج الرئيسية، وكذلك مع محمد بن زايد رئيس دولة الإمارات، وقادة آخرين.

رتب مولشو لقاءات سرية مع هؤلاء الممثلين في قبرص، وفي منزله في قيصرية، وفي منزل رئيس الوزراء في القدس. أعقب ذلك مكالمات هاتفية بيني وبين القادة، مما أدى بدوره إلى لقاءات سرية بيننا. التقينا في الخليج عدة مرات. في أحد الاجتماعات هبطت في طائرة هليكوبتر مع مولشو، الذي عقد الاجتماع على ظهر يخت في البحر الأحمر. قررت عقد الاجتماع هناك على الرغم من المخاوف التي أثارها مسؤولو الأمن.

القادة العرب الذين التقيت بهم كانوا أذكياء، وتحدثنا بصراحة وبشكل مباشر عن قلقنا من ضعف الاستعداد الأمريكي لمواجهة إيران ورغبتها المتزايدة في استيعابها. تحدثنا أيضًا عن كيفية التعاون مع بعضنا البعض عسكريًّا واقتصاديًّا ودبلوماسيًّا. أخبروني أنَّ خطابي في الكونجرس ضد الصفقة الإيرانية واستعدادي للوقوف في وجه رئيس أمريكي كان بمثابة نقطة تحول في استعدادهم لتعزيز العلاقات مع إسرائيل. وقد أرست هذه الاجتماعات الأسس لما سيكون في نهاية المطاف اختراقًا ذا أبعاد تاريخية، وهي اتفاقيات إبراهيم.

جرت مفاوضات السلام بيننا وبين الإماراتيين والأمريكيين سرًّا في واشنطن على مدى ستة أسابيع في صيف 2020. على الجانب الإسرائيلي، كان هناك ثلاثة أشخاص فقط على علم بالمفاوضات بجواري، وهم: السفير ديرمر، وزير السياحة ياريف ليفين، ومستشار الأمن القومي مئير بن شبات.

قبل ذلك بخمس سنوات، خلال مؤتمر باريس للمناخ في نوفمبر 2015، التقيت مبعوثًا رفيع المستوى من البحرين في اجتماع رتبه الرئيس هولاند في قصر الإليزيه. لقد ناقشنا مصالحنا المشتركة والحاجة إلى تطبيع العلاقات بين بلدينا، والتي حافظ عليها الموساد حتى تلك اللحظة. في عام 2020 نبتت هذه البذور. الاتفاق مع البحرين، مثل الاتفاق السابق مع الإمارات، تم التوصل إليه بعلم وتشجيع من السعودية.

في 3 فبراير 2020، زرت أوغندا للقاء قائد الجيش السوداني عبد الفتاح البرهان. رُتِبَ هذا الاجتماع بتكتم من قبل الرئيس الأوغندي موسيفيني. خلال الغداء مع البرهان، ناقشت المزايا التي يمكن أن تعود على

السودان من إقامة علاقات مع إسرائيل، بما في ذلك إزالته من قائمة الولايات المتحدة للدول الداعمة للإرهاب.

أُبْرِم الاتفاق رسميًّا في 6 يناير 2021. وافقت الولايات المتحدة على إزالة السودان من قائمة الدول الداعمة للإرهاب، ووافق السودان على فتح مجاله الجوي للطائرات المتجهة من وإلى إسرائيل، مما جعل الطيران إلى أي مكان في إفريقيا وأمريكا الجنوبية أكثر قربًا.

اتفاق السلام الرابع الذي تحقق قبل نهاية ولاية ترامب كان مع المغرب. كانت للموساد علاقات مع نظيره المغربي، وزار السياح الإسرائيليون المغرب باستمرار. لكن لم تكن لدينا علاقات دبلوماسية رسمية. خلال زيارة للأمم المتحدة في سبتمبر 2018، التقيت سرًّا بوزير الخارجية المغربي في اجتماع رتبه دوري غولد. وقلت حان الوقت للخروج علانية والتطبيع رسميًّا.

من جانب المغرب، كان وزير الخارجية مهتمًا بتأمين علاقة أوثق مع الولايات المتحدة، لا سيما فيما يتعلق بمطالبة المغرب بالصحراء الغربية. اتفقنا على رؤية ما يمكن أن يفعله كل منا للآخر.

في أول 72 عامًا في تاريخ إسرائيل عُقدت اتفاقيتي سلام. في غضون أربعة أشهر في عام 2020، عقدت أربع اتفاقيات أخرى.

قبل وقت قصير من الانتخابات الأمريكية، أُضيفت كوسوفو إلى قائمة الدول التي تريد السلام مع إسرائيل. كانت هذه عملية بقيادة أمريكية بالكامل، وتضمنت التزامًا صربيًّا بفتح سفارة في القدس.

من خلال بناء قوة إسرائيل وتحدي إيران، جعلنا إسرائيل حليفًا جذابًا لجيراننا العرب. من خلال تجاوز الفلسطينيين، تمكنا من تحقيق أربعة اختراقات دبلوماسية وتوقيع أربع اتفاقيات تاريخية. لقد كان هذا حقًا شرق أوسط جديد، شرقًا مبنيًا على قوة حقيقية وليس على أوهام كاذبة. للمرة الأولى في تاريخ إسرائيل، تحقق السلام دون التنازل عن الأراضي أو اقتلاع اليهود من ديارهم. كان قائمًا على المصالح الاقتصادية والدبلوماسية والأمنية المتبادلة التي استفادت منها جميع الأطراف.

فقدان منصب رئيس الوزراء

ذهبنا إلى صناديق الاقتراع ثلاث مرات في أبريل 2019 وسبتمبر 2019 ومارس 2020. وذلك بعد أن رأينا في أول شهرين من الحكومة أنَّ وزراء أزرق أبيض يتصرفون كمعارضة داخل الائتلاف، تركتهم عمدًا في الظلام بشأن الأمور الحاسمة لمنعهم من إفشال مبادراتي.

تم حل الكنيست للمرة الرابعة في 22 ديسمبر 2020. في الانتخابات التي تلت ذلك في 23 مارس 2021، حصل الليكود على 30 مقعدًا متقدمًا على حزب يسار الوسط الذي حصل على 17 مقعدًا. ومع ذلك، وبالنظر إلى النظام البرلماني المتذبذب في إسرائيل، كانت النتائج غير حاسمة، ولم يتمكن أحد لأسابيع من تشكيل حكومة جديدة. وللمرة الأولى في تاريخ إسرائيل، شكلت مجموعة من الأحزاب ذات برامج معارضة تحالفًا مع حزب "راعم" الإسلامي، الذي يعارض وجود إسرائيل كدولة يهودية.

مع وجود حزب لا يتعدى ستة أعضاء من أصل 120 عضوًا في الكنيست، شغل بينيت منصب رئيس الوزراء. ومع ثلاثين مقعدًا لليكود، أصبحت الآن زعيم المعارضة مرة أخرى.

الخاتمة

خلال الكتاب حرص نتنياهو على استعراض إنجازاته مع القفز قدر الإمكان على إخفاقاته، لكن نقطة ضعفه التي لم يخفها هي خوفه الشديد على أفراد أسرته، وانزعاجه من الانتقادات التي توجه لهم، حتى قال إنَّ التطاول على زوجته سارة وأولاده يسبب له جروحًا مثل الجحيم. كما أنَّه أحاط مسبح منزله في قيصرية بسياج معدني كثيف؛ حتى يتمكن أولاده من تعلم السباحة بأمان.

كذلك لم يتمدح نتنياهو من السياسيين الحاليين شخصًا بقدر ما امتدح رون ديرمر السفير الإسرائيلي السابق في واشنطن، ووزير الشؤون الاستراتيجية الحالي. فهو مثل نتنياهو كان يحمل الجنسية الأمريكية، وهو خريج جامعة أكسفورد، ويصفعه نتنياهو بأنَّه حاز على تعليم عميق، ويفهم السياسة الأمريكية بشكل حاذق، لكنه لا يفهم أحيانا المكائد الميكيافيلية للسياسة الإسرائيلية. يحب نتنياهو أن يخوض مع ديرمر نقاشات فلسفية وتاريخية، ويضيف: (غالبًا ما لا يكون الأشخاص الأذكياء هم الأكثر صراحة وصدقًا، لكن يمكنني دائمًا الاعتماد على كلمة رون والثقة في نزاهة نصيحته).